جماليات السرد فى سورة الكهف
بين السرد الدلالى والسرد اللسانى

بقلم الدكتور

محمد السيد محمد عطية مطر

مدرس الأدب والنقد الأدبي ـ بقسم اللغة العربية

كلية الآداب ـ جامعة السويس ـ جمهورية مصر العربية

المجلد السادس والعشرون للعام ٢٠٢٢م

الجزء الأول (إصدار يونيو)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

جماليات السرد فى سورة الكهف بين السرد الدلالى والسرد اللسانى

محمد السيد محمد عطية مطر

الأدب والنقد الأدبى ـ بقسم اللغة العربية ـ كلية الآداب - جامعة السويس- جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني : mohamed.mater@arts.suezuni.edu.eg

الملخص

إن السردية هي المبحث النقدي الذي يُعنى بمظاهر الخطاب السردي، أسلوباً وبناء ودلالة.. والعناية الكلية بأوجه الخطاب السردي، أفضت إلى بروز تيارين رئيسين في السردية،

أولهما :السردية الدلالية التي تعنى بمضمون الأفعال السردية، دونما اهتمام بالسرد الذي يكوّنها، إنما بالمنطق الذي يحكم تعاقب تلك الأفعال، ويمثل هذا التيارَ: بروب، وبريمون، وغريماس .

وثانيهما: السردية اللسانية التي تعنى بالمظاهر اللغوية للخطاب، وما ينطوي عليه من رواة، وأساليب سرد، ورؤى، وعلاقات تربط الراوي بالمروي . ويمثل هذا التيار، عدد من الباحثين، من بينهم: بارت، وتودوروف، وجنيت .

وشهد تاريخ السردية محاولة للتوفيق بين منطلقات هذين التيارين، إذ سعى غاتمان وبرنس إلى الإفادة من معطيات السردية في تياريها: الدلالي واللساني، والعمل على دراسة الخطاب السردي بصورته الكلية، فيما اتجه اهتمام برنس إلى مفهوم التلقّي الداخلي في البنية السردية من خلال عنايته بمكون المروي له، اتجه اهتمام غاتمان إلى البنية السردية عامة، فدرس السرد بوصفه وسيلة لإنتاج الأفعال السردية، وبحث في تلك الأفعال بوصفها مكونات متداخلة من الحوادث والوقائع والشخصيات التي تنطوي على معنى .. وعدّ السرد نوعاً من وسائل التعبير، في حين عدّ المروي محتوى ذلك التعبير، ودرسهما بوصفهما مظهرين متلازمين من المظاهر التي لا يتكوّن أي خطاب سردي من دونهما .

ومن هذا الهدف وغيره من الأهداف الأخرى ، ومن رغبتنا في خدمة كتاب ربنا التي هي من أجل العبادات وأنفعها ، ومن محاولة الكشف عن بعض أسراره البلاغية جاء اختيارنا لموضوع الدراسة بعنوان " جماليات السرد فى سورة الكهف بين السرد الدلالى والسرد اللسانى".

فالدعوة إلى الوقوف عند موضوعات القصص القرآنى ، والوعى بجمالياتها، وتذوقها تذوقاً فنياً واعياً مطلب حقيقى لدى الباحث ؛ لأن القصص القرآنى يعد النوذج الفريد للقصة من خلال براعته فى المواءمة بين تحقيق المقاصد الدينية ومطالب الفن الأخرى ، فهو يسرد بطريقة عجيبة كى يحقق غايات تربوية عظمى بأسلوب بلاغى فريد .

والسرد يقوم بوظائف مهمة وغايات نبيلة فى القصة القرآنية لعل منها : أنها تضىء للإنسان زوايا الرؤية فى دنياه ، من خلال العبر التى تنطوى عليها ليفوز فى أخراه . ولما تميزت به القصة القرآنية فى سورة الكهف من أساليب رفيعة، ومستوسات سردية بديعة ، وجب الكشف عن مكنوناتها ، وبيان دلالاتها ، واستلهام تقنياتها الفنية فى سرد أحداثها وشخصياتها بأسلوب يعجز البشر فى محاكاته أومشابهته.. ولم لا وقد تميز السرد فى سورة الكهف ليس بفردانية الخطاب السردى فقط ولكن بكثرته أيضاً ؛ لأن القصص هو العنصر الغالب فى هذه السورة .

ففى أولها تأتى قصة أصحاب الكهف وبعدها قصة الجنتين .. ثم إشارة إلى قصة آدم وإبليس.. وفى وسطها تجىء قصة موسى مع العبد الصالح ، وفى نهايتها قصة ذي القرنين. ويستغرق هذا القصص معظم آيات السورة ، فهو وارد فى إحدى وسبعين آية من عشر ومائة آية ؛ ومعظم ما يتبقى من آيات السورة هو تعليق أو تعقيب على القصص فيها .

الكلمات المفتاحية : جماليات السرد ، سورة الكهف ، السرد الدلالى ، السرد اللسانى .

The aesthetics of narration in Surat Al-Kahf between semantic narration and linguistic narration

Mohamed El-Sayed Mohamed Attia Matar

Literature and Literary Criticism - Department of Arabic Language - Faculty of Arts - Suez University - Arab Republic of Egypt .

Email: mohamed.mater@arts.suezuni.edu.eg

Abstract

Narrative is the critical research that deals with the manifestations of narrative discourse, style, building and significance. And the total care of narrative discourse has led to the emergence of two major narrative currents.

First : the semantic narrative that deals with the content of narrative acts, without caring about the narrative they make, but with the logic that governs the succession of such acts, and represents this current: Prop, Bremon and Grimas.

Second: linguistic narratives that deal with the linguistic manifestations of the discourse, the narratives it entails, narrative methods, visions, and relationships between the narrator and the narrator. This current represents a number of researchers, including Bart, Todorov and Gennett.

The history of the narrative witnessed an attempt to reconcile the origins of these two currents, as Gatman and Prince sought to take advantage of the narrative data in its currents: semantic and linguistic, and work to study the narrative discourse in its overall form, while Prince's attention turned to the concept of internal receiving In the narrative structure by taking care of his narrative component, Gatman's attention turned to the narrative structure in general, examining the narrative as a means of producing narrative acts, and examining those acts as overlapping components of meaningful incidents, facts and characters. The narrative promised a kind of expression, while al-Mroui counted the content of that expression, and studied them as two complementary manifestations without which no narrative discourse was formed.

From this and other objectives, from our desire to serve the Book of Our Lord, which is for the sake of worship and its usefulness, and from trying to reveal some of its rhetorical secrets came our choice of the subject of the study entitled "The aesthetics of narrative in Surat al-Kahf between semantic narrative and linguisticnarrative."

The call to stand up to the topics of Qur'anic stories, to be aware of their aesthetics, and to taste them artistically consciously is a real demand of the researcher, because the Qur'anic stories are the unique model of the story through its prowess in harmonizing the realization of religious purposes with other demands of art, it is listed in a strange way in order to achieve great educational goals in a unique rhetorical style.

The narrative performs important functions and noble purposes in the Qur'anic story, perhaps one of which is: it illuminates the corners of the vision of man in his world, through the lessons that it entails to win in the end. Because of its fine styles and exquisite narrative levels, the Qur'anic story in Surat al-Kahf must be revealed, its mechanizations must be revealed, its connotations should be revealed, and its artistic techniques should be inspired in recounting its events and characters in a way that human beings are unable to emulate or resemble. Why not, and the narrative in Surat al-Kahf was characterized not only by the individuality of narrative discourse but also by its multitude, because stories are the dominant element in this surah.

First comes the story of the cave owners and then the story of the two heavens Then a reference to the story of Adam and Bleus. In the middle comes moses' story with the good slave, and at the end the story of the two-horned. These stories take most of the verses of the Surah, as it is contained in seventy-one verses of ten and a hundred verses; most of the remaining verses of the Surah are commentary or commentary on the stories in them.

Keywords: The aesthetics of narration, Surat Al-Kahf, semantic narration, linguistic narration .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن السردية هي المبحث النقدي الذي يُعنى بمظاهر الخطاب السردي، أسلوباً وبناء ودلالة.. والعناية الكلية بأوجه الخطاب السردي، أفضت إلى بروز تيارين رئيسين في السردية، **أولهما: السردية الدلالية** التي تعنى بمضمون الأفعال السردية، دونما اهتمام بالسرد الذي يكوّنها، إنما بالمنطق الذي يحكم تعاقب تلك الأفعال، ويمثل هذا التيارَ: بروب، وبريمون، وغريماس .

وثانيهما: السردية اللسانية التي تعنى بالمظاهر اللغوية للخطاب، وما ينطوي عليه من رواة، وأساليب سرد، ورؤى، وعلاقات تربط الراوي بالمروي . ويمثل هذا التيار، عدد من الباحثين، من بينهم: بارت، وتودوروف، وجنيت .

وشهد تاريخ السردية محاولة للتوفيق بين منطلقات هذين التيارين، إذ سعى غاتمان وبرنس إلى الإفادة من معطيات السردية في تياريها: الدلالي واللساني، والعمل على دراسة الخطاب السردي بصورته الكلية. فيما اتجه اهتمام برنس إلى مفهوم التلقّي الداخلي في البنية السردية من خلال عنايته بمكون المروي له، اتجه اهتمام غاتمان إلى البنية السردية عامة، فدرس السرد بوصفه وسيلة لإنتاج الأفعال السردية، وبحث في تلك الأفعال بوصفها مكونات متداخلة من الحوادث والوقائع والشخصيات التي تنطوي على معنى . وعدّ السرد نوعاً من وسائل التعبير، في حين عدّ المروي محتوى ذلك التعبير، ودرسهما بوصفهما مظهرين متلازمين من المظاهر التي لا يتكوّن أي خطاب سردي من دونهما .

والقرآن الكريم كتاب متدفق بالعطـــاء، زاخـــر لا تنقضـــي عجائبـــه، ولا تنتهي منابع الجمال فيه ، معجز على مر الأزمان والدهور ، ومن ألـــوان إعجازه أسلوبه القصصي الهادف الذي يعد وسيلة من وسائل القرآن الكـــريم المتعددة التي يعتمدها للدعوة إلى الله ، وسلاحاً لنضـــال خصـــوم الإســـلام، وتسلية وتثبيتاً للرسول الكريم والمؤمنين من بعده.

ومن هذا الهدف وغيره من الأهداف الأخرى ، ومن رغبتنا في خدمـــة كتاب ربنا التي هي من أجل العبادات وأنفعها ، ومن محاولة الكشـــف عـــن بعض أسراره البلاغية جاء اختيارنا لموضوع الدراسة والذى تحت عنـــوان " **جماليات السرد فى سورة الكهف بين السرد الدلالى والسرد اللسانى**".

فالدعوة إلى الوقوف عند موضوعات القصـــص القرآنـــى ، والـــوعى بجمالياتها، وتذوقها تذوقاً فنياً واعياً مطلب حقيقى لدى الباحث ؛ لأن القصص القرآنى يعد النوذج الفريد للقصة من خلال براعته فى المواءمة بين تحقيـــق المقاصد الدينية ومطالب الفن الأخرى ، فهو يسرد بطريقة عجيبة كى يحقـــق غايات تربوية عظمى بأسلوب بلاغى فريد .

فالسرد القصصى فى القرآن الكريم يعود إلـــى الله ســـبحانه وتعـــالى ، وهوالذى يقص أحسن القصص ؛ حيث تحمل معها أشرف غاية وأقوم طريق ، قال تعالى " نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـــذَا الْقُـــرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ " (سورة يوسف الآية ٣) .

والسرد يقوم بوظائف مهمة وغايات نبيلة فى القصة القرآنية لعل منها : أنها تضىء للإنسان زوايا الرؤية فى دنياه ، من خلال العبر التـــى تنطـــوى عليها ليفوز فى أخراه . ولما تميزت به القصة القرآنية فى سورة الكهف من

أساليب رفيعة ، ومستوسات سردية بديعة ، وجب الكشف عن مكنوناتها ، وبيان دلالاتها ، واستلهام تقنياتها الفنية فى سرد أحداثها وشخصياتها بأسلوب يعجز البشر فى محاكاته أومشابهته. ولم لا وقد تميز السرد فى سورة الكهف ليس بفردانية الخطاب السردى فقط ولكن بكثرته أيضاً ؛ لأن القصص هو العنصر الغالب فى هذه السورة .

ففى أولها تأتى قصة أصحاب الكهف وبعدها قصة الجنتين .. ثم إشارة إلى قصة آدم وإبليس.. وفى وسطها تجىء قصة موسى مع العبد الصالح ، وفى نهايتها قصة ذي القرنين. ويستغرق هذا القصص معظم آيات السورة ، فهو وارد فى إحدى وسبعين آية من عشر ومائة آية ؛ ومعظم ما يتبقى من آيات السورة هو تعليق أو تعقيب على القصص فيها .

وكان من أهم الدوافع التى حدت بالباحث كيف سرد القرآن قصة أصحاب الكهف جملة فى خمس آيات.. بدءاً من الآية التاسعة وحتى الثالثة عشرة فى صورة بيانية رائعة تحمل أهم دلالات الإعجاز البيانى فى القرآن الكريم ؟ لعل ذلك الأمر يحمل إعجازاً خارقاً يعجز البشر على أن يأتوا بمثله .. ولكن ما الطريقة التى اتبعها القرآن لسرد قصة حقيقية تحمل إعجازاً طبياً قد حير العقول والألباب؟

إن القرآن الكريم قد فصَّل بعد ذلك ما أجمله فى الخمس آيات السابقة.. بدءاً من الآية الرابعة عشرة وحتى الآية السادسة والعشرين .. وقد اتضحت الصورة كاملة دون لبس أوغموض فى لوحة بيانية رائعة ، تحمل إجابات شافية لكل ما طرحناه من تساؤلات منذ قليل ، مما يؤكد بطلان مزاعم المستشرقين الغربيين .

فالله تعالى قد هيأ أسباب الحماية الطبيعية والطبية ـ فى آنٍ واحد ـ لهؤلاء الفتية ؛ حيث جعل الشمس تدخل كهفهم بصورة متوازية ، وكأنها حانية عليهم ، ترعاهم فى الصباح والمساء .. ولعل تقليب أجسادهم قد حفظها من التلف .

ثم جاء تعطيل حاسة السمع والمنشط الشبكى حتى لا يتأثروا بالأشياء الخارجية كالشعور بالجوع والعطش أو حتى الأحلام المزعجة ، ثم جعل العيون ترمش كى يحافظ على أعينهم من العمى ، ثم جعل فتحة للكهف ، وذلك لتغيير الهواء بصورة متواصلة ليس هذا فحسب ، بل جعل لهم حماية خارجية ، حيث إلقاء الرهبة منهم لغيرهم .. فحالتهم غريبة جداً غير مألوفة .. فلا هم بالموتى ولا هم بالأحياء .. فالناظر إليهم يجدهم كالأحياء يتقلبون ولا يستيقظون " ولذلك يهرب هلعاً من مشهدهم .. ثم جاء الكلب ليرسم هذا المشهد المخيف لمن رآه .. وصدق الله إذا يقول " وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً.. " ألا يسترعى هذا النظام السردى البديع انتباهنا .. حتى نستطيع أن نربط بين الإعجاز العلمى والبيانى فى آن واحد ؟ ولقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الأسلوبى الذى يأخذ بمعطيات علم اللغة العام ، ويفيد أيضاً من المعطيات الجمالية والتركيبية اللغوية له.

والتحليل الأسلوبى يعد أكثر المناهج اللغوية المعاصرة قدرة على تحليل النص الأدبى بمستوياته الأربعة: المستوى الصوتى ، والمستوى الصرفى، والمستوى التركيبى ، والمستوى الدلالى .

علماً بأن الأسلوبية لا تفرض على النص شيئاً من خارجه .. بل تعتمد على لغة النص كل الاعتماد؛ لأن اللغة هى البنية الأساسية للنص .. ليس هذا فحسب بل إن الأسلوبية منهج يبدأ من النص وينتهى إليه دون الحديث عن مؤلف النص . ولذلك صرفت كل اهتمامى نحو هذا المنهج ؛ متخذاً كلام رب العالمين ـ النص المحكم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـ مادة هذا البحث .. واخترت من هذه المادة نوعا مهماً قد امتاز بسمو مقاصده ، وشريف غاياته ، وعلو مراميه .. حيث قصص القرآن الكريم الذى اشتمل على فصول فى الأخلاق مما يهذب النفوس، ويجمل الطباع ، وينشر الحكمة والآداب، وطرق فى التربية والتهذيب شتى، تساق أحياناً مساق الحوار ، وطوراً مسلك الحكمة والاعتبار، وتارة مذهب التخويف والإنذار .. ليدل الناس على الخلق الكرم ، ويدعوهم إلى الإيمان الصحيح ، ويرشدهم إلى العلم النافع بأحسن بيان وأقوم سبيل .

ولا يفوتنى أن أنبه على أن الفتن التى تحدثت عنها قصص سورة الكهف أربع هى : فتنة الدين والمال ، والعلم ، والحكم كانت محور السورة ؛ حيث أبانت هذه القصص خطر تلك الفتن ، وسبل الخلاص منها ؛ وبذلك ارتبطت بموضوع واحد، وتكاملت فى الوقت ذاته .. فقصة موسى والعبد الصالح ارتبطت بقضية الفتية أصحاب الكهف والرقيم فى ترك الغيب لله .. وارتبطت قصة موسى والعبد الصالح بقصة ذى القرنين ..فكلاهما ممن اختصه الله بشىء من عظيم فضله ؛ فالعبد الصالح ارتقى بالعلم الربانى على المستوى العلم البشرى ، على حين أن ما أصاب ذا القرنين من علم كان تمكيناً له فى الأرض ، كى ينشر العدل بين الناس مهما كلفه ذلك من تعب أو شقاء .

ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى البحث فى هذا الموضوع والذى تحت عنوان : " **جماليات السرد فى سورة الكهف بين السرد الدلالى والسرد اللسانى** ".

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن أسير فيه منهجياً على النحو التالى :

قسمته إلى مبحثين مهمين ، مسبوقين بمقدمة ، ومذيلين بخاتمة وثبت بالمصادر والمراجع .

أما المبحث الأول فقد جاء تحت عنوان " جماليات السرد الدلالي فى سورة الكهف" والتى منها دلالتان: دلالة الرمز، ودلالة الوحدة الفنية بين القصص الأربع فى السورة .

وأما المبحث الثانى فقد تناول: " جماليات السرد اللسانى "والتى منها : **البنية الإيقاعية، والبنية التركيبية** . أما الجماليات الإيقاعية فتأتى على ثلاثة أشكال للإيقاع هى : الجناس ، والتكرار، والطباق والمقابلة **وأما الجماليات التركيبية للسرد** .. فتتلخص فى الأسلوب الخبرى والإنشائى.. ومن الإنشاء الطلبى: الأمر، الاستفهام ، الشرط ، النهى، التمنى ، النداء.

وأما الخاتمة فكانت لرصد أهم النتائج التى توصل البحث إليها ، والتى أرجو من الله عز وجل أن يفيد منها الباحثون حينما يعمدون إلى معالجة نصوص القصص القرآنى وتحليل الخطاب السردى تحليلاً دلالياً ولسانياً .

وختاماً .. فإن الباحث لا يدعى الإحاطة بكل دقائق الموضوع ، بل اتجه فى التقصى، ولا يزال الباب مفتوحاً للمستزيد ، وحسبه أنه قد أخلص النية وصدق الله العزم ، وآثر صعوبة الطريق؛ تاركاً السهل منه ، حتى يتعلم كيف يحمل التبعة ويرعى أمانة الكلمة .

المبحث الأول

(جماليات السرد الدلالى فى سورة الكهف)

ولها دلالتان جماليتان هما :

١- الدلالة الرمزية

٢- دلالة الوحدة الفنية بين القصص الأربع فى السورة

أولاً : الدلالة الرمزية

يعد المستوي الدلالي من أهم المستويات التي تنتجها الدراسات الأسلوبية في معالجة قضاياها، وبدونه يصبح العمل ناقصاً .. فالإيقاعات الصوتية، والصيغ الصرفية، والبنيات التركيبية تنصهر جميعاً في بوتقة التحليل الدلالي.

ولقد جعل الدكتور محمود السعران علم الدلالة غاية الدراسات الصوتية، والفونولوجية، والنحوية، والقاموسية؛ حيث إنه يمثل أيضاً قمة هذه الدراسات اللغوية [١].

وهناك تعريفات كثيرة لعلم الدلالة تشير معظمها إلي أنها العلم الذي يختص بدراسة المعني، وقد ظهر هذا المصطلح علي يد الفرنسي ميشال بريال "Michel Breal" وذلك في سنة ١٨٨٣م [٢] .

وانقسم علم الدلالة إلي ثلاثة فروع رئيسية هي:

---

(١) د. محمود السعران: علم اللغة، نشر دار الفكر العربي، ١٩٩٩م، ص ٢١٣.

(٢) انظر: كلودجرمان، ريمون لوبلان : علم الدلالة، ترجمة د. نور الهدي لوشن، نشر دار الفاضل، دمشق ١٩٩٤، ص ٥ وما بعدها.

أ- علم الدلالة اللغوي: وهو فرع من علم اللغة العام، ويهتم بدراسة المعني في اللغة، وذلك من حيث علاقة المفردات اللغوية والمركبات الإسنادية (الجمل) بالمعني.

ب – علم دلالة الرمز: ويختص هذا العلم بتكوين قواعد دلالية للغة المستعملة في العلوم، وقد تطور هذا العلم علي يد "رودلف كرناب" أيما تطور.

ج – علم الدلالة العام: ويهتم بدراسة المعني وكيفية تأثيره في السلوك الإنساني، وقد أسس هذا العلم المهندس والكاتب البولندي "الفرد هامد نبك" مع العلم بأن كل فرع من فروع هذا العلم يهتم بالعلاقة بين الرمز والمدلول.. فالرمز في علم الدلالة اللغوي هو اللفظ ، والمدلول هو المعني .. واللفظ إما أن يكون اسماً أو فعلاً أو حرفاً [١].

ولعل الاتجاه الرمزي الذي ظهر علي يد "استيفان مالرميه" وتلميذه "بول فاليري" يرمي إلي الإيحاء بدلاً من الإفصاح، والتلميح بدلاً من العرض، وأن الرمز ليس تشبيهاً ولا استعارة ولا كناية؛ لأن التشبيه يعيد الأشياء إلي أصلها..وعلي الرغم من هذا فإن للرمز مفاهيم أخري كثيرة . فهو عند إيليا الحاوي بمثابة المذهب الفني الذي يتبطن العالم الخارجي ويستظهر العام الداخلي، بعد أن يحل في روح المادة، كما يحل الصوفي في ذات الحقيقة [٢].

---

(١) انظر: محمد خليفة الأسود: بحث بعنوان"التحليل الدلالي للفعل في اللغة العربية" مجلة كلية الدعوة الإسلامية، نشر كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس العدد السابع ١٩٩٠م، ص ٣٤٦، ٣٤٧.

(٢) إيليا الحاوي: الرمزية والسريالية في الشعر الغربي والعربي، نشر دار الثقافة، بيروت، الطبعة ٢، ١٩٨٣م، ص ١١٥ وما بعدها.

وعند الدكتور محمد فتوح عبارة عن تركيب لفظي يستلزم مستويين: مستوي الصور الحسية، ومستوي الحالات المعنوية التي نرمز إليها بهذه الصور الحسية [١].

ومن أهم الدلالات البارزة فى قصص سورة الكهف رمز الكلمة ورمز الموضوع .. ولكن البحث سيكتفى برمز الكلمة لأهميتها دون الآخر .

فرمز الكلمة يأتي ليبعث في القارئ الرغبة في كشف الغموض، وفض السر الذي يحيط ببعض الكلمات التي تخرج عن إطار معانيها المعجمية لتشير إلي دلالات رمزية أو شبه اصطلاحية .مع العلم بأن ليست جميع ألفاظ اللغة قادرة علي أن ترمز، أو يرمز بها .. وبها تتميز أحياناً بكثرة الاستعمال، بالإضافة إلي أنها تطلق علي الموجودات المادية المحسوسة ، كما يقول الدكتور/ محمد العبد فى كتابه إبداع الدلالة.. [٢]

ومن الكلمات الرمزية المستخدمة فى القصة الأولى :

١- الكهف

وقد تكرر ذكرها أكثر من خمس مرات فى الآيات (التاسعة ،والعاشرة ، والإحدى عشرة ، والسادسة عشرة ، وفى الآية الخامسة والعشرين .. ومن ذلك قوله تعالى " أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا(٩). وفى قوله :" إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى **الْكَهْفِ** فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ

(١) د. محمد فتوح أحمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، نشر دار المعارف، الطبعة ٣، ١٩٨٤، ص ٢٠٢.

(٢) د. محمد العبد : إبداع الدلالة فى الشعر الجاهلى – مدخل لغوى أسلوبى – نشر دار المعارف ،ط١، ١٩٨٨، ص٥٣، ٥٤.

رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) وفى قوله : " فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي **الْكَهْفِ** سِنِينَ عَدَدًا (١١) وفى قوله : " وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى **الْكَهْفِ** يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا(١٦) وأخيراً فى قوله : " وَلَبِثُوا فِي **كَهْفِهِمْ** ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥).

ويبدو للباحث بأن الكهف هذا لا يعنى به المعنى الحرفى له ، بل كان له معنيان رمزيان من قصة أصحاب الكهف : **الأول** لم يعد الكهف حصناً فقط يحتمى بداخله أصحابه بل أمسى ملجأً وملاذاً للضعفاء الفارين بدينهم من بأس الظالمين ، وجور الفاسقين .. فقد يكون على ظلامه وضيقه أفسح صدراً ، وأوسع مكاناً من هذه الأرض الواسعة التى لا يستطيعون أن يعبدوا الله فيها كما يعتقدون ، أو أن يجهروا بدعوتهم كما يريدون ..فلا قرار لهم فى مكان لا يطمئنون فيه على دينهم ، ولا كرامة لهم فى وطن يقهرون فيه على تغيير دينهم ..فلم القعود ؟ **وأما المعنى الثانى** للكهف فيمثل قضية الرق ؛ حيث كان أصحاب الكهف يعدون أنفسهم أرقاء ، قد حكم عليهم الزمن الجائر بالرق سنين طويلة ، إلى أن جاء الكهف وثار ثورته على الظلم وأعوان الظالمين ليصل بهم إلى نور الحرية والسعادة البشرية ..

ومن هنا كانت الإشارة فى قوله تعالى " وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ " إلى مدى حبهم وإخلاصهم لهذا المكان الحانى عليهم ، والذى سيغير وجه الحقيقة بالنسبة لهم ولمن على شاكلتهم ..وهناك كلمات أخرى يضيق الوقت لسردها مثل : الوصيد ، والمسجد ، والكلب ..إلخ .

٢- الجنتان

وهى من الكلمات المستخدمة فى القصة الثانية لأصحاب الجنتين فى أكثر من إحدى عشرة مرة تصريحاً أو تلميحاً : وذلك فى مثل قوله تعالى: " وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا **جَنَّتَيْنِ** مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا **الْجَنَّتَيْنِ** آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وقوله تعالى أيضاً " وَدَخَلَ **جَنَّتَهُ** وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ **هَذِهِ** أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا **مِنْهَا** مُنْقَلَبًا (٣٦) وقوله " وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ **جَنَّتَكَ** قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ **جَنَّتِكَ** وَيُرْسِلَ **عَلَيْهَا** حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ **مَاؤُهَا** غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ **فِيهَا** وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى **عُرُوشِهَا** وَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) .

ولعل للجنتين معنيين رمزيين : **أحدهما** يشير إلى رمز العظمة والكبرياء ، فالبنية المكانية هنا رسمت صورة للمترفين من علية القوم حملت معها ألوان الأبهة والعظمة والخيلاء .. ونستطيع أن نصف تلك الشخصيات بالدوغماتية ..التى هى حالة من الجمود الفكرى ، يتعصب فيها الشخص لأفكاره الخاصة لدرجة رفضه الاطلاع على الأفكار المخالفة ، وإن ظهرت له الدلائل التى تثبت له أن أفكاره خاطئة ، بل نجده يصارع من أجل إثبات صحة أفكاره وآرائه .

وثانيهما يرمز بها إلى (مبدأ الحوار وقبول الآخر) ومن ذلك فى قوله فى القصة ذاتها " وكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ **وَهُوَ يُحَاوِرُهُ** أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا

وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وقوله أيضاً " قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ **وَهُوَ يُحَاوِرُهُ** أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧) .

فالحوار كما هو معلوم ينشط العقل ويحرك الذهن ، ويحفز القابلية للتعلم، ومتابعة الترقيات الروحية والفكرية ..والعقل المحاور نقيض العقل المتعصب ؛ فالعقل المحاور يترقى بصاحبه إلى أفق العلماء الأتقياء، بينما العقل المتعصب يقعد بصاحبه إلى زمرة الجهلاء الأشقياء .

وبمراعاة آداب الحوار وضوابطه تظهر نتائج الحوار ، إما التوصل إلى إظهار الحق واقتناع الطرفين بهذه النتيجة ، وإما تمسك كل طرف برأيه ، فينتهى الحوار بمبدأ : " اختلاف الرأى لا يفسد للود قضية " وهذا لم يحدث مع أصحاب الجنتين ..فكانت النتيجة صادمة ، والخسائر فادحة للطرف المعاند .. ومن هنا كانت البنية المكانية للكهف أو للجنة (البستان) قد شكلت الحركة الإجرائية الأولى للسرد ، من خلال التصوير الفنى والدلالى للألفاظ .

٣- مجمع البحرين .. والصخرة

وهى من الكلمات المستخدمة فى القصة الثالثة ..وذلك فى قوله تعالى "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) .

وكذلك الصخرة فى قوله تعالى " قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) .. يأتى ذكر المكان هنا ليرمز بهما إلى: **مكان التجلى والوصول إلى الغاية** مهما كانت الصعوبات فى الوصول إليهما . وكذلك كان المكان **رمزاً للانطلاق والحركة ،**

والحكمة والعلم، والحث على فضيلة العلم والرحلة في طلبه، واغتنام لقاء الفضلاء والعلماء وإن بعدت أقطارهم.

ومن هنا نعلم بأن السرد القصصى فى القرآن الكريم لا يساق دون قصدية ، بل يساق لغايات مهمة وأهداف سامية ؛ إذ يوظف السرد المكان بأنواعه المختلفة ليحقق الغرض المرجو منه ، بجمالية فائقة، ودقة بالغة ..[١].

وهناك كلمات أخرى تحمل معانى رمزية فى قصة موسى مع العبد الصالح تتلخص فى :

١- السفينة

٢- الغلام

٣- القرية

٤- الجدار

٥- ذى القرنين

فالسفينة جاءت فى قوله تعالى " فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) ..وقوله تعالى أيضاً " أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) .. وقد يرمز بها إلى البشاعة فى الظلم بغير وجه حق من ملك ظالم سولت له نفسه بأخذ ما ليس له حق فى أخذه.. وكذلك فيها استبطان للخير على خلاف ظاهره، لمن يتعجل الأمور أو يستعجل القدر .

---

(١) انظر د. أروى محمد ربيع و د. محمود ربيع بحث بعنوان السرد فى القص القرآنى – قصة أهل الكهف أنموذجاً- ، نشر مجلة مقاليد ، جامعة جرش الأردن ، العددالتاسع ، ديسيمبر ٢٠١٥م ، ص ٢٤٥.

وجاء الغلام فى قوله تعالى " وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) ليرمز به إلى (قدرالله ومشيئتة فى تصريفه للأمور).. فالغلام الذي أنكرت عليّ ياموسى قتله كان أبواه مؤمنَين، وكان هو في علم الله كافرًا، فخفنا إن بلغ أن يحملهما على الكفر باللهِ والطغيان من فرط محبتهما له، أو من فرط حاجتهما إليه. وأردنا أن يعوّضهما الله ولدًا خيرًا منه دينًا وصلاحًا وطهارة من الذنوب، وأقرب رحمة بوالديه منه.

أما **القرية** التى جاء ذكرها فى قوله " فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) فقد جاءت لترمز إلى جريمة البخل الأخلاقية من أصحاب القرية المشئومة .

وأما الجدار فلقد جاء فى قوله تعالى " وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا "(٨٢) ليكون رمزاً **للحماية ، ووعاء للادخار** قد ينتفع به الغلامان اليتيمان فى يوم ما .

وأخيراً أستطيع أن أقول إن الدلالة الرمزية وقيمتها في السرد الدلالى لم تأت منفصلة عن الصورة، بل جاءت معها جنباً إلي جنب ليتحقق التفاعل بينها ، والتوالد بين عناصرها؛ متداركة العجز في الدلالة المعجمية التى قد تكون فى بعض الكلمات المجردة .

وآخراً.. جاء ذو القرنين فى قوله تعالى " وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ **ذِي الْقَرْنَيْنِ** قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا(٨٣)..وقوله تعالى " إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥) ..وهو من الشخصيات الحكائية التى هى عمود كل عمل سردى ليرمز به إلى **قوة الحق مع إزهاق الباطل** ، **وشموخ العدل مع ثبات اليقين** فى أجمل صورة قد عرفها التاريخ ، أو حكى عنه ." فلقد فصل ذو القرنين إلى المغرب غازياً فاتحاً ، محارباً مجاهداً ، لا يصادف فى طريقه حزناً إلا سلكه ، ولا عالياً إلا ظهره ، ولا عدواً إلا كسر سلاحه ، وقص جناحه ؛ ولا يبالى فى الجهاد الحر ولا القر، ولا السهل ولا الوعر ؛ إذ كان الله قد مكن له فى أرضه ، ورزقه الطاعة والانقياد فى جنده، وآتاه من كل شىء يحتاج إليه فى توطيد ملكه سبباً ، ومنحه فى القتال حظاً سعيداً ، وفتحاً مبيناً ..." [(١)].

ولا أستطيع أن أغفل ما للبنية الزمنية من قيمة فى **مغرب الشمس ومطلعها** – بعد أن طوفنا منذ قليل– لبعض أشكال مكونات السرد القصصى بأكملها . فيأتى ذلك واضحاً فى قوله تعالى " حَتَّى إِذَا بَلَغَ **مَغْرِبَ الشَّمْسِ** وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا " (٨٦) وقوله تعالى أيضاً "حَتَّى إِذَا بَلَغَ **مَطْلِعَ الشَّمْسِ** وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا "(٩٠) .

ولعل مغرب الشمس ومطلعها يرمز إلى البأس الشديد فى نصرة الحق دون كلل أو ملل.ولم لا ؟ وقد أقام فيهم مدة ، ضرب فيها على يد الظالم ليأخذ الحق منه ، ونصر المظلوم فى أخذ الحق له ، وقد نشر لواء الإصلاح بينهم ،

---

(١) محمد أحمد جاد المولى وآخرون : قصص القرآن ، نشر دار الجيل بيروت، ط١٣ ، ١٩٨٥، ص ٢٢٨ .

وأقام عمود الحق فيهم ، فجاب الأرض شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً من أجل الصلاح والإصلاح ..فسار غازياً مجاهداً ، منصوراً موفقاً كى ينتهى به الطريق إلى غاية العمران فى الأرض وكان شعاره مع قومه " قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥).فاستجابوا لدعوته، كى ينالوا من عزته وكرامته، فكان لسان حاله يقول " هذا رحمة من ربى ..".

ثانياً : دلالة الوحدة الفنية بين القصص الأربع فى السوة .. تتلخص فى :

١- الدقة فى التعبير (الواقعية) .

٢- وحدة المقصد والشعور والجو النفسى .

٣- وحدة المعالجة الفنية

أولاً : الدقة فى التعبير (الواقعية)

تلك الدقة التى تحدد العبارة تحديداً واضحاً لا غموض فيه ، وهذا ما عبر عنه القرآن بقوله فى سورة الكهف " نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣)..وقوله تعالى أيضاً " إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ.."آل عمران ٦٢..وقوله تعالى فى سورة يوسف " (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)(١١١) .. " فقصص القرآن الكريم ليست مفتراة من وحى الخيال ، ولا فيها انحرافات عن مسار الواقع .. ذلك لأن الاعتبار بالقصة لا يحصل إلا إذا كانت خبراً عن أمر واقع ..إضافة إلى أن تحقق حصولها فى السابق يجعل من احتمال تكرارها مرة أخرى أمراً وارداً وممكناً بخلاف القصص المنسوجة من وحى الخيال فعنها لا يحصل بها اعتبار ، لاستبعاد السامع وقوعها ..مثل مبالغات الخرافات ،

وأحاديث الجن والغول عند قدماء العرب ، وقصص رستم وأسفنديار عند الفرس ، وملاحم جلجامش فى الأدب السومرى .. فالسامع يتلقاها تلقى الفاكهات والخيالات اللذيذة ، ولا يتهيأ للاعتبار بها ؛ ولذلك لا تحتفظ بها النفوس ولا تعتبر بها .." (١).

ومن مظاهر الدقة فى التعبير فى هذا السرد القصصى استخدام التعبير القرآنى لبعض ظروف الزمان والمكان وكذلك توظيفه للحال.

أما توظيفه لبعض ظروف الزمان والمكان –على سبيل المثال لا الحصر– .. فقد جاء فى قوله تعالى ؛ مستخدماً الأداة إذ: " **إِذْ** أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ.." و" وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ **إِذْ** قَامُوا.." و" **وَإِذِ** اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ.." و" **إِذْ** يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ.." و كذلك استخدامه لكلمة **إذا وإذاً** ..وذلك فى قوله تعالى " وَتَرَى الشَّمْسَ **إِذَا** طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ **الْيَمِينِ** وَ**إِذَا** غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ **الشِّمَالِ**.." و " وَلَنْ تُفْلِحُوا **إِذًا** أَبَدًا.."

وفى قصة صاحب الجنتين .. نراه يستخدم بعض ظروف الزمان والمكان أيضاً .. وذلك فى قوله تعالى " وَجَعَلْنَا **بَيْنَهُمَا** زَرْعًا.." وقوله تعالى "وَفَجَّرْنَا **خِلَالَهُمَا** نَهَرًا.." وقوله " قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ **أَبَدًا**.." ..**إلخ** .

أما فى قصة موسى وفتاه فنراه يستخدم ظرف المكان فى قوله تعالى "لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ **مَجْمَعَ** الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا .." وقوله " قَالَ أَرَأَيْتَ **إِذْ** أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ.." وقوله "وكانَ **وَرَاءَهُمْ** مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا.." وقوله " وَكَانَ **تَحْتَهُ** كَنْزٌ لَهُمَا.." .

---

(١) انظر د. محفوظ ولد خيرى : مقالة منشورة على النت تحت عنوان " خصائص الأسلوب السردى فى قصص القرآن الكريم بتارخ ٢/٦/ ٢٠١٦م.

وأما فى قصة ذى القرنين فنراه يستخدم الكثير من أظرف الزمان والمكان ؛ كما فى قوله تعالى " حَتَّى إِذَا بَلَغَ **مَغْرِبَ** الشَّمْسِ.." وقوله " حَتَّى إِذَا بَلَغَ **مَطْلِعَ** الشَّمْسِ.." وقوله " حَتَّى إِذَا بَلَغَ **بَيْنَ** السَّدَّيْنِ.." وقوله " عَلَى أَنْ تَجْعَلَ **بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ** سَدًّا ..

<u>ومن خلال تلك الأمثلة يتضح للبحث أمران ..هما:</u>

أولاً : تُعدّ الظّروف من الأسماء التي تدخل على الجُمل بِنوْعيها الجمل الاسمية والجمل الفعليّة، وهي أسماء تنساق في دلالاتها لاحتياجات الجملة والإشارات اللّغوية والدّلالية التي تحملها ألفاظ الجملة، وهي لهذا تتفرّع إلى عدّة فروع من العام إلى الخاص، فالظروف عامّة والتي تحمل في معناها تقدير حرف الجر" في" قبلها تقسم بدورها إلى قسمين من حيث الدلالة العامة : قسم يحمل دلالة بعينها، وآخر يكتسب دلالته من الاسم الذي يليه ، وكلّها تتفرّع إلى فرع آخر أساسيّ ينقسم حسب دلالته إلى زمان ومكان.

ومن ناحية أخرى فإنّ هذه الظروف تنقسم في دلالتها الزمانيّة والمكانية إلى قسمين آخرين فيكون منها ما يُسمّى بالظرف المختص، ومنها ما يُسمّى بالظرف المُبهم، ومن هنا تقسم أيضًا تبعًا لأحكامها الإعرابية إلى ظروف منصوبة وأخرى مبنية، كما يقسم حسب الاشتقاق والتصرف إلى قسمين آخرين هما الظروف المتصرفة والظروف غير المتصرفة.. وهذا كله نراه واضحاً فى هذا السرد القصصى البديع .

ثانياً : من محاسن الاستخدام لتلك الظروف الزمانية والمكانية أن نزهت السرد القصصى عن الحشو ، وفضول التفاصيل غير المفيدة للسامع أو القارئ ؛ فجعلت منه بلاغة الإيجاز ، دون الإرهاق بالتفاصيل المتعلقة برسم

الأحداث زمانياً ومكانياً ، ووصف أبطالها شخصاً شخصاً ..إلى غير ذلك من التفاصيل التى لا يعتنى النص القرآنى باستقصائها ؛ لأنها خارجة عن مرامى أهدافه .

وأما توظيفه للحال فقد جاء فى أكثر من واحد وثلاثين تركيباً مع عواملها وأصحابها ..ويأتى على أربعة أشكال وهى : الحال المفرد ، والحال الجملة الاسمية ، والحال الجملة الفعلية ، والحال شبه الجملة .. و كان عدد الحال المفرد خمسة عشر تركيباً، و عددالحال الجملة الاسمية سبعة تراكيب ، وعدد الحال الجملية الفعلية ستة تراكيب ، وعدد الحال شبه الجملة فهو ثلاثة تراكيب .. (١).

فمن الحال المفرد – على سبيل المثال لا الحصر – قوله تعالى " فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ **سَرَبًا**.." وقوله " وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ **عَجَبًا**.." وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ **غَصْبًا**".

ومن الحال الجملة الاسمية ، قوله تعالى " وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا **وَهُمْ رُقُودٌ**.." وقوله " فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا **وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا**.." ومن الحال الجملة الفعلية ، قوله تعالى " وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ **وَهُوَ يُحَاوِرُهُ**.." وقوله أيضاً " وَدَخَلَ جَنَّتَهُ **وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ** قَالَ.." .

ومن الحال شبه الجملة ، قوله تعالى " نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ.." وقوله" لَنْ نَدْعُوَ **مِنْ دُونِهِ** إِلَهًا.."وقوله " هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا **مِنْ دُونِهِ** آلِهَةً.."

---

(١) رزفن جوليردى جان : تحليل الحال فى سورة الكهف ، نشر جامعة سومطرة ، كلية العلوم والتربية والتدريس ٢٠١٨م، ص ٨١.

ومن خلال تلك الأمثلة فإنه **يتضح للبحث عدة حقائق .. منها :**

أولاً : إذا كان تعريف الحال في النحو يتم على أنه وصف فضلة في الجملة، ويأتى به لبيان هيئة صاحب الحال عند قيامه بالفعل أو الوصف.. وهو وصف نكرة مشتق متغير غير ملازم لصاحب الحال، واقع بعد تمام الكلام، وحكمه النصب دائماً. ويكثر استخدام الحال في اللغة العربية في الجملة الفعلية..فإن ما جاء به السرد القرآنى ليؤكد على ذلك كله ، وخاصة الدقة فى التعبير الأسلوبى على مستوى اللفظى والتركيبى .

ثانياُ : جاء الحال ليخدم الأسس التى يعتمد عليها السرد القصصى فى بنائه الفنى من:أحداث وشخصيات وزمان ومكان وحتى الحبكة الفنية ، ليتوازن الجميع على مدار القصة ، وليخرج السرد فى أحسن صورة فنية وواقعية معاً .

ثالثاً : يأتى ذكر الحال فى السرد القصصى ليتبين وجه الإعجاز الإلهى فى استعماله ، وليوضح بأنه ليس كما يسرد الإنسان من قصص وحكايات مختلفة ، فلربما جاءت قصص البشر للتسلية ، ولم تأت للعظة أوللعبرة من خلال سياقاتها المختلفة والمتعددة .

رابعًا : تأتى بلاغة الحال ليكون لها دور فى تطوير الأحداث ، وتفجيرها ، وفى كشف انفعالاتها الشخصية ، وأهدافها المرجوة منها فى إطار السرد القصصى .

خامسًا : تأتى بلاغة الحال ليكون لها دور فى تطوير الأحداث ، وتفجيرها ، وفى كشف انفعالاتها الشخصية ، وأهدافها المرجوة منها فى إطار السرد القصصى ليس أكثر .

٢- وحدة المقصد والشعور والجو النفسى .

يبدو أن وحدة المقصد والشعور والجو النفسى فى قصص سورة الكهف الأربع تتجلى من خلال تشابه هذه القصص فى الشعور الذى تثيره ، والجو النفسى المسيطر عليها ، فسمات الحركة ، والإيجابية ، والتفاؤل ، والتشويق والإثارة قد سرت فيها ، وسيطرت عليها ، على الرغم من أنها تحدثت عن أمم وأقوام قد عاشوا فى مراحل زمنية ومكانية متباعدة ومختلفة ؛ ولكن جاءت قصصهم الأربع فى سورة واحدة ، ارتبطت ببعضها ارتباطاً وثيقاً ، تجمعها وحدة الموضوع ، ووحدة المقصد والشعور، والجو العام ، بل ووحدة المنهج.. [١].

وتجدر الإشارة إلى أن دراسة القصص القرآنى وسرده لايراد منه إخضاع القصة القرآنية لمقاييس القصة البشرية ، فشتان ما بين القصتين ..فالأولى من إبداع الخالق عز وجل ولا مثيل له ، والثانية من صنع البشر ، والتى تقبل التغيير فى أي جانب من جوانبها . وإن تمثلنا للقصص القرآن يأتى فى إطار الامتثال للقيم الموضوعية والروحية والتربوية والفنية لهذا النموذج الربانى الفريد ؛ بالإضافة إلى حاجتنا لتنقية تراثنا العربى من الضعف والترهل بسبب النمذجة الغربية ، بل والتقليد الأعمى لمجتمعات تختلف فى طباعها عن مجتمعاتنا العربية الأصيلة .

---

(١) انظرد. على بن محمد الحمود : جماليات الترابط فى قصص الكهف ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود ، د.ت، ص٣.

ومن أبرز مظاهر تلك الوحدة ما يلى :

١- منطق الحوار.

٢- الدقة فى الوصف.

٣- الحركة الفنية .

أما منطق الحوار فنجده فى استخدام السرد لكلمة **(قال)** فى أكثر من أربع وعشرين مرة ، و(قالوا) فى ثلاث مرات ، و(يقولون) مرة واحدة ، وقد يأتى القول مستتراً ..كما فى قوله تعالى ". آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ" أى قال آتونى ..وهذا كله يدل على شرعية الظاهرة السردية فى سورة الكهف .. فمن الأمثلة الحوارية الرائعة التى جاءت فى هذه السورة –على سبيل المثال لا الحصر – **وفى قصة أصحاب الكهف** قوله تعالى" قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ.." وقوله تعالى **فى قصة أصحاب الجنتين** " قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ.." ..إلخ .

وفى قصة موسى مع الخضر والتى تكرر استعمال كلمة (قال) كثيراً مما يسترعى الانتباه دون القصص الأخرى من السورة ؛ وذلك فى قوله تعالى " وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا.." وقوله أيضاً " قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا.." وقوله" قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا .." وقوله تعالى "قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا.." وأخيراً يأتى قوله الرائع " قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا.."

وفى قصة ذى القرنين يأتى لفظ القول فى قوله تعالى " قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا .." وقوله تعالى :" قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ.."

ويتضح للبحث عدة حقائق من خلال الأمثلة السابقة .. منها :

أولاً: إن القرآن الكريم يعتمد اعتماداً كبيراً على أسلوب الحوار فى توضيح المواقف ، وجلاء الحقائق، وهداية العقل ، وتحريك الوجدان ، والتدرج بالحجة ؛ احتراماً لكرامة الإنسان ، وإعلاء لشأن عقله.

ثانياً : جاء السرد القرآنى هنا ليعلمنا وظيفة الحوار، وفوائده ، وأساليبه ، وآدابه ، وفنونه

ثالثاً : جاء الحوار فى الآيات السابقة ليعلمنا أصول الحوار ، والتى منها : أن يراد بالحوار وجه الله تعالى ، والعلم ، والتكافؤ بين المتحاورين فى الناحية العلمية والثقافية وفى العقل والفهم وإلا فإن الغلبة ستكون للجاهل ..ثم لابد من تحديد موضوع الحوار ، ونقطة الاختلاف .. وأخيراً يأتى أدب الحوار والذى يتلخص فى : المحاورة بالحسنى ، والتواضع ، وحسن الاستماع ، والعدل والإنصاف ، والحلم والصبر ، والحوار الإيجابى .. إلخ وهذا كله كان ماثلاً بين أيدينا فى الآيات السابقة من خلال دلالة السرد، وسرد الدلالة .

وأما الدقة فى الوصف فيتلخص فى مشهد أصحاب الكهف؛ حيث صورتهم الدقيقة والرائعة لما يحدث لهم أثناء نومهم فى الكهف ؛ وذلك فى قوله تعالى: " وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ **تَزَاوَرُ** عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ **تَقْرِضُهُمْ** ذَاتَ الشِّمَالِ **وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ** ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ

اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (١٧) ..وقوله تعالى أيضاً فى مشهد آخر " وَتَحْسَبُهُمْ **أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ** وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ **فِرَارًا** وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ **رُعْبًا** (١٨).

ما أجمل هذا الوصف وما أجمل دقته فى استخدامه لبعض الكلمات التى تحمل دلالات رمزية وتشخيصية معاً ، تجسد المشهد وتشخصه فى أبرع صورة يتخيلها العقل البشرى ..ولذلك فإن كتب التفاسير قد تناولت ذلك كله ولم تمر عليه مرور الكرام ؛ ومن ذلك يصور صاحب زهرة التفاسير بقوله " أي أنها إذا طلعت تميل عن الكهف متجهة ناحية اليمين فلا تمسهم الشمس بل تميل عن الكهف، لَا ينالهم إلا شعاع قليل منها، لَا تلفحهم بسخونة، بل يكون هادئا منيراً، وتسير الشمس من وراء الكهف من جنوبه، حتى تصل نازلة إلى الغروب، مائلة إليه، فتقرضهم على شمائلهم، كما تزاورت لهم عن أيمانهم في الصباح، ومعنى (تَقْرِضُهُمْ)، أنها تتجاوز بهم قاطعة حتى تصل إلى شمالهم في الغروب، وتقرضهم من القرض بمعنى القطع، أي أنها تقطع جنوب الكهف حتى تصل إلى شماله، والفارسي يقول: إنه مِن قرض الدراهم والدنانير، والمعنى أنها تعطيهم من تسخينها شيئا ثم يزول بسرعة كالقرض المسترد، ونرى في هذا تكلفا، وخير القول أن تقول: إن معنى تقرضهم تعدل بهم وتتجاوزهم شيئاً فشيئاً حتى يتم الغروب، (وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ) أي مكان متسع (مِّنْه) ..(ذَلِكَ منْ آيَاتِ اللَّهِ)، أي إن ذلك كله من آيات اللَّه، فإلهامهم الالتجاء إلى الكهف، وإلى كهف مفتوح من الشمال، وكون الشمس تميل إليه ولا تدخله ليحفظ اللَّه أجسامهم من البلى والعفونة، وكونهم أحياء ليكونوا حجة على أن

الحياة بيد اللَّه تعالى، وهو مانحها، يهبها لمن يشاء، كل هذا من آيات اللَّـــه، وهي تبصِّر الناس بالحق وتهدي إليه .

وقوله أيضاً عن مشهد نومهم " من يراهم بادي النظر يحسبهم أيقاظـــاً، أي يظنهم أيقاظاً، والحقيقة أنهم رقود، والأيقاظ جمع يقظ، والرقود جمع راقد، أو هو مصدر وصف به والمصدر الذي يوصف به يلتزم المصدرية، فلا يثنى ولا يجمع، وإن هؤلاء الفتية عندما أصابهم الرقود كانـــت عيـــونهم مفتوحـــة فيظنهم الناظر أنهم أيقاظ ليسوا نائمين، ولأنهم بإرادة اللَّه يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال، ويقول تعالى: (وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ)، أي يتقلبون بإرادة اللَّه تعالى إلى اليمين وإلى الشمال، وتلك حال من يكونون بين اليقظـــة والنوم، ويقلبهم اللَّه ذات اليمين وذات الشمال لكي لا تتعفن أجسامهم إذا بقوا على حال واحدة، ولأن أحسن الأحوال للنائم ألا ينام مضطجعاً ولا يلتزم جانباً واحداً يميناً أو شمالاً، بل يتقلب بينهما، لكي لا تكون الأعضاء الداخلية مـــن كبد وقلب ومعدة على ثقل واحد، بل تتغير أثقالها.. وهم في هذا التقلب الـــذي يكون كالنائم المعتاد .." (١)

ومن جمال دقة الوصف أيضاً فى قصة صاحب الجنتين ..قوله تعالى:" وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ **مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَـــدًا**" (٣٥) ..وقولـــه تعالى أيضاً " وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا **وَهِيَ خَاوِيَـــةٌ عَلَى عُرُوشِهَا** وَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا "(٤٢)..ما أجمل ما تناولـــه الطبرى فى تفسيره ؛ وذلك بقوله:" قال لما عاين جنته، ورآها وما فيها مـــن الأشجار والثمار والزروع والأنهار المطردة شكا في المعاد إلى الله : ما أظنّ

(١) محمد أبوزهرة: زهرة التفاسير، نشر دار الفكر العربى القاهرة ، ١٩٨٧ ، المجلد التاسع.
انظر أيضاً : محمد رشيد رضا : تفسير المنار، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.

أن تبيد هذه الجنة أبداً، ولا تفنى ولا تَخْرب، وما أظنّ الساعة التي وعد الله خلقه الحشر فيها تقوم فتحدث، ثم تمنى أمنية أخرى على شكّ منه، فقال: (وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي) فرجعت إليه، وهو غير موقن أنه راجع إليه (لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا) يقول: لأجدنّ خيرا من جنتي هذه عند الله إن رددت إليه مرجعا ومردًا، يقول: لم يعطني هذه الجنة في الدنيا إلا ولي عنده أفضل منها في المعاد إن رددت إليه.." (١).

وفى تفسيره للآية الأخرى نراه يقول " وقوله: (قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا) يقول جلّ ثناؤه: قال لما عاين جنته، ورآها وما فيها من الأشجار والثمار والزروع والأنهار المطردة شكا في المعاد إلى الله: ما أظنّ أن تبيد هذه الجنة أبدا، ولا تفنى ولا تَخْرب، وما أظنّ الساعة التي وعد الله خلقه الحشر فيها تقوم فتحدث، ثم تمنى أمنية أخرى على شكّ منه، فقال: (وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي) فرجعت إليه، وهو غير موقن أنه راجع إليه (لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا) يقول: لأجدنّ خيرا من جنتي هذه عند الله إن رددت إليه مرجعا ومردًا، يقول: لم يعطني هذه الجنة في الدنيا إلا ولي عنده أفضل منها في المعاد إن رددت إليه.

ومن خلال تناولنا لمشاهد دقة الوصف فى السرد القصصى للقصتين الأوليين يتبين للباحث حقيقتين اثنتين هما :

أولاً : قراءتنا للمشاهد السابقة تجعلنا نعيش فى جو نفسى واحد – وكذلك بقية القصص الأخرى – ولا نشعر بأى انفصال بين السرد القصصى

---

(١) محمد بن جرير الطبرى :جامع البيان فى تأويل القرآن ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

وبقية آيات السورة ؛ وذلك من خلال البناء المحكم لها ، والخصائص العامة المشتركة التى تجمع بين القصص .. " فهى تصور مشاعر متفاوته لأشخاص مختلفين فى جوانب عدة ، عاشوا فى فترات زمنية متباعدة ، وفى أماكن مختلفة ، وتعبر عن مواقف مختلفة، وأحداث متفرقة ، ومع ذلك فهى تشترك فى الموضوع العام الذى تتناوله ، وفى الغاية التى ترمى إلى تحقيقها ،وفى الجو العام المسيطر على تلك القصص ومع ذلك فهى تشترك فى الموضوع العام الذى تتناوله ، وفى الغاية التى ترمى إلى تحقيقها ، وفى الجو العام المسيطر على تلك القصص، وفى المنهج الذى عرضت من خلاله .. وهذا الترابط الجمالى فى قصص سورة الكهف جعل منها بشقيها : القصصى والتعقيبى نسيجاً واحداً متكاملاً ، يعد ذروة الفصاحة والبلاغة ، ومنتهى الإعجاز فى الناحيتين الموضوعية والجمالية .." [١].

ثانياً : نلمس فى المشاهد السابقة صورتين متقابلتين : الأولى تحمل كل الدلالات لمعانى العناية الآلهية فى الكلمات (تزاور – تقرضهم – أيقاظاً وهم رقود) لأصحاب الكهف فى كهفهم . والثانية تحمل كل معانى الندم والحسرة على عدم الإيمان بالله والإقرار بوحدانيته ، بسبب ثوب الغرور أوالكبر الذى ران على قلبه، حتى ألبسه الخزى والعار والندم ..ومن خلال ذلك ، وعلى الرغم من هاتين الصورتين المتقابلتين فإننا نعيش فى جو من وحدة المقصد والشعور والجو النفسى ..وهذا ما نؤكد عليه ونثبته .

---

(١) جماليات الترابط فى سورة الكهف ، ص ٨.

٤-الحركة الفنية

لقد كانت الحركة من أبرز السمات المسيطرة على الجو النفسى فى قصص سورة الكهف " والحركة هى الروح التى تسرى فى كيان العمل القصصى ، وتبعث فيه الحياة ، وتجعل بينه وبين الناس تجاذباً وتجاوباً . وإنه بغير الحركة والحركة المتنوعة الملونة يفقد العمل القصصى حيوته ، ثم حياته ، ويتحول إلى كتلة جامدة باردة من الكلمات .." [١].

ومن أروع المثلة على ذلك – من خلال القصتيين الآخريين- استخدامه للفظة (فانطلقا).. فى رحلة موسى والخضر ؛ وذلك فى قوله تعالى : " **فَانْطَلَقَا** حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) وقوله تعالى أيضاً " **فَانْطَلَقَا** حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا(٧٤) وقوله تعالى " **فَانْطَلَقَا** حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧).

وفى رحلة ذى القرنين تبرز الحركة فى استخدام السرد القرآنى لكلمة فأتبع سبباً ثلاث مرات فى ثلاث آيات مختلفة ؛ وذلك فى قوله تعالى " **فَأَتْبَعَ** سَبَبًا (٨٥).." وفى قوله تعالى أيضاً " ثُمَّ **أَتْبَعَ** سَبَباً(٨٩). وقوله فى المرة الثالثة " **ثُمَّ أَتْبَعَ** سَبَبًا (٩٢).

---

(١) عبد الكريم الخطيب : القصص القرآنى فى منطوقه ومفهومه ، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر بيرت ٢٠٠٥، ص ١١٩.

ومن خلال ما سبق يتبين لنا ما يلى :

أولاً : جاء التعبير بالانطلاق ثلاث مرات ليعبر به –عن طريق الرمز الدلالى – عن روح القصة المليئة بالحيوية والنشاط ، والحركة والتشويق ، وليشكل الصورة السردية بكامل أركانها لتصل إلى المسرود له فى جو من الترابط الشعورى الدافئ ، والجو النفسى الراقى .

ثانياً : وجاء التعبير (**فأتبع سبباً**) فى رحلة ذى القرنين لتبرز حركة الشخصيات من خلال انتقالها إلى مغرب الشمس مرة ، وإلى مشرقها مرة أخرى ، وكذلك بين السدين ؛ كى تتلاحق الأحداث تلاحقاً منطقياً من خلال أخذه بالأسباب المأمور باتخاذها لتكون سبباً ناجعاً قد أدى به إلى التمكين فى الأرض ، بعد توفيق الله له .

ثالثاً : هذه الكلمات .. وغيرها كانت نموذجاً من جماليات السرد الدلالى ؛ كى يتحقق معها وحدة المقصد الهادف ، والشعورالدافئ ، والجو النفسى السامى.

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

المبحث الثانى

من جماليات السرد اللسانى

١- البنية الإيقاعية

وتأتى على ثلاثة أشكال :

الشكل الأول : **الجناس**

الشكل الثانى : **التكرار**

الشكل الثالث : **الطباق والمقابلة**

٢- البنية التركيبية

وتأتى على ستة أشكال :

(الأمر – الاستفهام - الشرط – النهى – التمنى – النداء)

المبحث الثانى

من جماليات السرد اللسانى

١-البنية الإيقاعية

وتأتى على ثلاثة أشكال .. هى :

الشكل الأول : الجناس

وهو أحد أشكال المحسنات اللفظية فى علم البديع .. بل وأهمها وأحسنها .. لأن جماله يعود إلى ثلاثة أمور : أولها تناسب الألفاظ .. وثانيها التجاوب الموسيقى الذى تطرب له الآذان .. وتهتز لسماعه القلوب .. وثالثها القدرة الفائقة فى تكرار النظائر الصوتية ، والإجادة فى حسن تقسيمها ؛ ليتناسب ذلك كله مع المعانى التى يرمى إليها القرآن الكريم ومُراد الله عز وجل– والله أعلم بمراده – من القصة القرآنية التى امتازت بسمو مقاصدها ، وعلو مراميها .. ليس هذا فحسب بل إن الجناس هو عبارة عن تكرار الملامح الصوتية فى بعض الألفاظ والجمل بدرجات مختلفة.. وغالباً ما يهدف الجناس إلى إحداث تأثير رمزى عن طريق الربط السببى بين المعنى والتعبير ؛ حيث يصبح الصوت مثيراً للدلالة[١] .

وهذا كلُّه يتضح لنا فى عدة أمثلة ، منها : قوله تعالى فى الآيتين .. الحادية عشرة، والثانية عشرة:" فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً(١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً (١٢)". فالجناس الناقص هنا يقع بين كلمتى عدداً وأمداً ليشير بهما إلى المدة الزمنية الطويلة

(١) انظر : د. صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص ، نشر دار مؤسسة مختار – دار عالم المعرفة – ط١ ، ١٩٩٤م ، ص ٢١٠ ، ٢١١ .

ولذلك فقد تمَّ التغيير الصوتى بين فونيم حرفين بفونيم حرفين آخرين ؛ حيث العين والدال فى الكلمة الأولى ، والهمزة والميم فى الكلمة الثانية . ومن خلال ذلك يتبين حرص القرآن على التلوين الصوتى من حين لأخر بين آياته ؛ ليحقق نوعاً من الإيقاع الداخلى فى سوره ، تتجاذبه نفوس السامعين وتهفو لتلاوته ألسنة القارئين .. ولم لا ؟ والجناس له جرس موسيقى خلاب يجذب به القرآن سمع القارئ من خلال تجانس الحروف بعضها مع بعض.

وهناك أمثلة أخرى كثيرة قد يضيق الوقت لسردها .. ولكن أكتفى بذكر بعضها : حيث جاءت بين كلمتى : (أحداً .. وملتحداً) (وينصرونه .. ومنتصراً) و (موعداً .. وموئلاً) و (اسجدوا .. فسجدوا) و (بدلاً .. وجدلاً) و (أمراً .. وإمراً) و (المغرب .. وتغرب) و (نعذبه .. فيعذبه) و (نكراً .. ويسراً) و (اسطاعوا .. استطاعوا) و (يحسبون .. ويحسنون) .. إلخ .

ولعل ما سبق يوضح لنا عدة حقائق مهمة .. منها :

أولاً : إن القصة فى سورة الكهف حينما سردها القرآن الكريم : " فإنه بدأ بوصف أصحاب الكهف بأنهم فتية انفردوا عن أقوامهم بالإيمان بالله عز وجل ووحدانيته .. مخالفين ما عليه سائرهم من الشرك والكفر، وأنهم من أجل ذلك عزموا على أن يعتزلوهم، وتمضى القصة على هذا المنوال ، فمن هم هؤلاء القوم؟ وفى أي بلدة كانوا يسكنون ؟ وكم كان عددهم ؟ وما أسماؤهم ؟ هذه أسئلة كان من مقتضى السرد التاريخي أن تجيب القصة عنها ، ولكنها لو أوضحت ذلك لما وفَت بالغرض الديني الذي استهدفته ، ولانصرف فكر القارئ أو السامع إلى تتبع أحداث تاريخية ، ولغفل بذلك عن

الغرض الأسمى الذى من أجله سبقت القصة وهو العبرة.. "[١] ولعلّ ذلك أيضاً كان شأن الجناس التام منه والناقص حيث كان بقدر.. أى بمعنى أنه لم يكثر منه أو يقل ؛ وذلك كى يحافظ على الهدف الأسمى والأمثل من سياق قصته على حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم .. والناس أجمعين .

ثانياً : لقد تبين لناً من خلال ما سبق أن القصة القرآنية سجل حافل لجميع التوجيهات الإلهية برغم قلة الألفاظ المستخدمة فى أدائها إلا أنها حافلة بكل أنواع التعبير والعناصر الفنية : من حوار ، إلى سرد ، إلى تنغيم إيقاعى إلى إحياء للشخوص ، إلى دقة فى رسم الملامح .. وهذا ما يجعلنا ندرك سحر هذا الإعجاز الفنى الناشئ عن القصة القرآنية ، ومدى عظمة القدرة الإلهية فى إخراجها . [٢]

ثالثاً : إن الجناس السابق قد أحدث لنا إيقاعاً صوتياً بين كلمات القرآن وآياته هذا الإيقاع العجيب هو الذي أذهل سامعيه فلم يلبثوا حين وقعت آيات القرآن على مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم المعادى .. حتى صارت عداوتهم موالاة ، وكفرهم إيماناً .. "وما هذا التأثير النفسي إلا آية من آيات الرحمن ، تشهد بعظمة وسحر هذا البيان الإلهي ، الذي أودعه الله – سبحانه – مكنون كتابه ، ليشهد بعظيم آلائه ونعمائه.. "[٣] .

رابعاً : إن الإيقاع الصوتى لا ينبعث من الجناس الصوتى بين الكلمات أو الحروف فقط – كما فى الشعر – ولكنه فى القرآن الكريم لينبعث حتى من

---

(١) د. أحمد جمال العمرى : دراسات فى القرآن والسنة ، نشر دار المعارف ، ط١ ، ١٩٨٢، ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٨٢ .

اللفظة المفردة ، فى كل آية من آياته ، فتكاد تستقل بجرسها وموسيقاها ، بتصوير لوحة فيها اللون زاهياً أو خفيفاً ، وفيها الظل كثيفاً أو شفيفاً [١] .. ولذلك سنقف قليلاً فى الصفحات التالية لنتأمل ذلك كله إن شاء الله تعالى .

الشكل الثانى : التكرار

إن التَّكْرار يُعد أيضاً من أشكال الإيقاع الداخلي داخل المستوى الصوتي .. وهو قريب جداً من الجناس .. من حيث التقارب الصوتي بين الحروف أو الكلمات أو الجمل المكررة.. ومعناه هو استعمال اللفظ أكثر من مرة فى المعنى نفسه .

ولعل التكرار هنا فى الخطاب السردي جاء ليحقق عدة أمور .. منها :

١- إنتاج النغم أو الإيقاع الموسيقى ، وترديد الإيقاعات الصوتية التي من شأنها تساعد فى تشكيل دلالات السرد القصصي فى القرآن كله .. أي دلالات النص القرآني .

٢- جاء التكرار اللفظى ليكون عنصراً مهماً وأساسياً من عناصر تكوين الصورة الشعرية للقصة القرآنية .. وخاصة فى أيديولوجية السرد ومنطق الخطاب .

٣- لعل التكرار قد جاء ليؤكد حرص القرآن على تأكيد معنى معين يريده .. أو لتوجيه يقصده.. أو على سبيل التشوق والاستعذاب كما يرى ابن رشيق.. [٢].

---

(١) د. أحمد جمال العمرى : دراسات فى القرآن والسنة ، ص ٨٣ .

(٢) ابن رشيق : العمدة ، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ، نشر دار الجيل ، ببيروت ، ط٤ ، ١٩٧٢ ، ص ٣٢١ .

وجاء التكرار فى ذلك على عدة أشكال منها :

١- تكرار الحرف . ٢- تكرار الاسم .

٣- تكرار الصيغ .. ومنها تكرار الاستفهام ، والنداء والأمر .

وتكرار الحرف أو بضعة أحرف جاء كثيراً في سياق السرد القصصي في سورة الكهف .. فمرة يكثر القرآن من تكرار حرف الجر "على" حيث قوله تعالى : " فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ " وقوله : " وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ" أو قوله تعالى : " نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ " وقوله : " لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً " ومرة ثانية يكثر القرآن من تكرار حرف التوكيد "إنَّ" .. ومرة ثالثة نجده يكثر من تكرار حرف الجر "إلى".. حيث قوله تعالى : " فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ.." وقوله تعالى : " فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ.." وهناك أيضاً حروف أخرى جاءت في صور متعددة وبأشكال مختلفة.. كحرف اللام مثلاً.. فمرة جاء فى جواب شرط "لو" الغير عاملة .. وذلك فى قوله تعالى: "لو اطلعت لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً " ومرة ثانية وبعدها مباشرة جاء ليكون فى مقام التعليل .. حيث قوله تعالى " وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ.." وهذه الحروف وغيرها تحمل دلالات معينة ومختلفة لتحقق فى النهاية ما أراده الله من وراء هذا السرد القصصى العجيب .

وجاء تكرار الاسم فى هذا السياق فى إطار التجنيس والتقطيع الصوتى. وهو قسمان : **أما القسم الأول** فهو : تكرار صوتي يلتزم فيه القرآن بتكرار اللفظة نفسها مثل كلمة "أحداً" فى قوله تعالى : "وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً

" وقوله أيضاً : " وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً " وبين هذه وتلك قوله تعالى : " وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً " .

ولعل تكرار النفى مع كلمة "أحداً" جاء ليشير إلى قضية التوحيد فى هذه السورة.. فالله واحد أحد .. فرد صمد لا شريك له فى ملكه .. ولا معبود غيره .. ولا يرضى لعباده الكفر .. جل جلاله وتقدست أسماؤه

ولقد تكرَّرت هذه الكلمة أيضاً فى مواضع أخرى .. وفى قصة أخرى .. فى قوله تعالى: " وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً " ولعلها تحمل المعنى نفسه فى آخر آية من السورة .. فى قوله تعالى : " فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً " . ولعلنى لا أملك إلا أن أقول "ما أجمل هذا التركيب وما أروعه !! وما أتمه وما أبلغه!! .

وأما القسم الثانى الذى لا يلتزم فيه القرآن بتكرار اللفظة نفسها فنجدها فى مواضع كثيرة .. منها قوله تعالى : " جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ.." وقوله " كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا.." فجاءت كلمة "الجنتين" مثنى مرتين تباعاً .. ثم جاءت مرة ثالثة بعد ذلك عن طريق المفرد أيضاً مرتين ؛ وذلك فى قوله تعالى : " وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ " ثم قوله فى موضع أخر من القصة نفسها: " فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْراً مِنْ جَنَّتِكَ " وكأن المقابلة هنا كانت بين ذكر الجنة بالمثنى مرتين وبالمفرد مرتين أيضاً .. وهذا يدل على بلاغة التركيب القرآنى وأنه من لدن حكيم حميد.

وهناك أيضاً تكرار لصيغ الاستفهام والنداء والشرط .. فمن تكرار صيغ الاستفهام فى قصة موسى مع العبد الصالح .. قوله تعالى : " قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْراً " ، وقوله تعالى فى المعنى نفسه وعلى لسان العبد

الصالح : " قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْراً " ولعل التكرار واضح تماماً بين الجملتين الاستفاهمتين إلا فى زيادة الجار والمجرور "لك" فى الجملة الثانية .. حيث أفادت المعنى ونوَّعت فى الخطاب ، لأن العبد الصالح قد ضاق ذرعاً من كثرة السؤال الموجه إليه من قبل سيدنا موسى– عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأتم التسليم – فما كان بوسعه إلا أن يستخدم كلمة "لك" فى المرة الثانية بعد أن حذر العبد الصالح موسى مرة قبل ذلك . ومن ثم فإن آية النصح هنا مع الجار والمجرور كانت فى موضعها .. وبلغت من نفس موسى مبلغاً .

ومن تكرار صيغ النداء أيضاً .. قوله تعالى : " وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ.." وقوله أيضاً: " فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا " وتقدير النداء فى القول الأول : وإذ قال موسى لفتاه .. يا فتاي لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقباً" والتقدير فى القول الثاني : "قال لفتاه .. يا فتاي آتنا غدائنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً .." وعلى هذا النحو فإن حذف النداء هنا جاء فى موضعه ؛ حيث وضوح المعنى وفهم القصد فلا حاجة للذكر هنا لأنها لم تقدم شيئاً جديداً ولذلك جاء حذف النداء فى موضعه فى الآيتين.

ومن تكرار صيغ الأمر .. قوله تعالى : " وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ.." وقوله أيضاً : " وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.." أو فى قوله تعالى فى قصة ذى القرنين : " آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ " وقوله : " آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً.." فالتكرار هنا فى الآيات يتمثل فى تكرار صيغة الأمر : واضرب لهم مثلاً.. وأيضاً فى تكرار فعل الأمر آتونى أيها الناس على سبيل التقدير وهكذا يكون التكرار على هذا النحو .. **ولكن تبقى هناك ملاحظتان على بلاغة التكرار هما :**

أولاً : يلجأ القرآن للتكرار – فى أحيان كثيرة – ليوظفه فنياً فى النص القرآنى السردى من أجل التركيز على عنصر خطابى بعينه .. قصده باللفظ وأراد من خلاله البحث عن معناه .

ثانياً : جاء التكرار هنا ليحقق من ورائه هندسة موسيقية تُجمِّل اللفظ وتثرى المعنى.. فالفقرات الإيقاعية الناتجة من التكرار تحقق لمسات عاطفية وجدانية تثير حاسة التأمل والمفاجأة لدى قارئ النص القرآنى .

الشكل الثالث : الطباق والمقابلة

وكما يتم التلاحم عن طريق التشابه يتم كذلك عن طريق التضاد ، لأن المعانى يستدعى بعضها بعضاً.. فمن المعانى ما يستدعى شبيهه .. ومنها ما يستدعى مقابله .. بل إن الضد أكثر خطراً على البال من الشبيه وأوضح فى الدلالة على المعنى منه(١) .

ومن طباق الإيجاب قوله تعالى : " وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَتَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً " . وقوله تعالى بعد ذلك مباشرة : " وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ "

فمطابقة الإيجاب هنا واضحة تماماً ؛ حيث لم يختلف الضدان إيجاباً وسلباً وذلك فى كلمتى: (طلعت– غربت) وكلمتى (اليمين – الشمال) و(يهتد – يضلل) ثم بين كلمتى (اليمين – الشمال) مرة أخرى.

---

(١) انظر : د. عبدالعزيز عتيق : علم البديع ، نشر دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨٥م ، ص٧٩ .

ولعل طباق السلب كان واضحاً أيضاً فى قصة الجنتين .. حيث قوله تعالى : " وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِراً " .. فالإيقاع الصوتى واضح فى كلمة : ينصرونه" وتكرارها السلبى "وما كان منتصراً" بالإضافة إلى الإثارة الذهنية الحاصلة من خلال فهم معنى الآية.

وإلى جانب الطباق تأتى المقابلة بنوعيها اللفظية والمعنوية علماً بأن التضاد فى القرآن الكريم لم يكن حليةً لفظيةً لبيان البراعة فى تشكيل الكلمات .. كما هو الحال فى الشعر أو فى النثر .. بل جاء التضاد ليعبر عن حرارة الموقف فى سياق السرد القصصى.. ومن أمثلة المقابلة قوله تعالى : " الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً " فبين شطرى الآية – إن صح – التعبير – مقابلة لطيفة أظهرت وجه التناقض بين الموقفين وذلك لأخذ الحيطة والحذر من قوله تعالى بعد تلك الآية : " أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً " .

ومن هنا يتضح لنا إذا كانت المطابقة هى اجتماع المعنيين المختلفين فى لفظة واحدة مكررة فإن من السهل علينا أن نجعل الطباق شكلاً من أشكال الإيقاع الداخلى.. وهذا ما رأيناه فى الأمثلة، القرآنية السابقة، وغيرها.. كقوله تعالى: " وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ " حيث كلمتا "فليؤمن.. فليكفر" اللتان اتفقتا فى عدد الحروف وفى الإيقاع العام لكل منهما .

ليس هذا فحسب بل هناك أيضاً مقابلات أخرى لطيفة قد يضيق الوقت لسردها .. ولكن منها قوله تعالى : " بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً " مع قوله : " نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً " والمقابلة كانت بين : "بئس وساءت" فى مقابل "نعم وحسنت" ولعل الاتفاق هنا كان واضحاً فى عدد الحروف وفى الإيقاع العام أيضاً لكل منهما .. وهذا ما يظهر المعنى ويجمله ويؤكده بذلك الطباق وتلك المقابلة .

٢- البنية التركيبية

وتأتى على ستة أشكال هى :

١- الأمر **٢- الاستفهام**

٣- الشرط **٤- النهى**

٥- التمنى **٦- النداء**

لاشك أن المستوى التركيبي – أو علم التراكيب النحوية – يمثل نمطاً مهماً من أنماط التحليل الأسلوبى[١] .. لأن علم التراكيب يدرس العلاقات بين الكلمات وبعضها داخل السياق ؛ هادفاً إلى إقامة روابط معنوية بين أجزاء الجمل المرتبة والمؤلفة تأليفاً تاماً .. مما يكشف عن شحنات دلالية عديدة تتبين من خلال هذه العلاقات – الأفقية أو الرأسية– التى اهتم بها العالم اللغوى السويسرى "دى سوسير" أو العلاقات الأفقية والتى اهتم بها من قبل العالم الأمريكى "تشومسكى" صاحب نظرية النحو التوليدى التحويلى.

وتتلخص البنية التركيبية فى ستة أشكال ..هى :

أولاً : الأمر

ويأتى الأمر فى أكثر من عشرين موضعاً .. ومن الملاحظ أن القرآن قد استخدم صيغة فعل الأمر كثيراً دون باقى الصيغ الأخرى كالمضارع المقترن بلام الأمر ، أو اسم فعل الأمر ، أو المصدر النائب عن الفعل .. لأن الأمر هنا سيخرج عن معناه الأصلى إلى معان أخرى غير الوجوب والإلزام

---

(١) سعد مصلوح : اللسانيات العربية وقراءة النص الأدبى (مقالة) ، مجلة فصول ، المجلد التاسع ، العدد ٣ ، ٤ فبراير ١٩٩١ ، ص ١٥٢ .

.. فمرة يأتى ليفيد الالتماس .. كما فى قوله تعالى : " فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً.

ومرة ثانية يأتى الأمر ليفيد الدعاء والقرب من الله عز وجل .. كما فى قوله تعالى : " إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً " .

ومرة ثالثة جاء بمعنى النصح والإرشاد ، كما فى قوله تعالى : " فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ.." وقوله تعالى : " فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً " .

ومن الملاحظ فى هذه الآية أن جاء التنوع فى صيغة الأمر .. فمرة بفعل الأمر "فابعثوا" وثلاث مرات أخرى قد استخدم نوعاً أخر من صيغ الأمر .. حيث المضارع المقترن بلام الأمر فى قوله : "فلينظر ، فليأتكم ، وليتلطف " وهذا من جمال تنوع الخطاب السردى فى القصص القرآنى ليحقق به كثيراً من الأغراض الوجدانية ؛ فيكون عاملاً مؤثراً فى جذب انتباه المتلقى .. وهذا ما قد حدث لنا بالفعل حينما قرأنا هذه الآيات الواضحات البينات .

ثانياً : الاستفهام

إن الاستفهام نوع مهم من أنواع الأساليب الإنشائية الطلبية ؛ وذلك لأنه يلعب دوراً مهماً فى إنتاج بعض الدلالات البلاغية التى تخدم النص الأدبى .. وكما أن الاستفهام يمثل واجهة الخطاب المنطوق ، ولازماً من لوازم القصيدة فى طور النشأة فإنه أيضاً كذلك فى القرآن .. حيث يوجه شراع السورة – إن

صح التعبير– إلى نوع مهم من الخطاب فيجب علينا الاستماع والإنصات إلى ذلك جيداً لما يحمله هذا النوع من الخطاب .

ولعله جاء فى هذا السرد القصصى من سورة الكهف ليبلغ أكثر من عشرين موضعاً.. وكان متنوعاً فى طريقته وأدائه .. فمرة يأتى بالهمزة كحرف استفهام ؛ وذلك فى مثل قوله تعالى : " أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ.." وقوله تعالى أيضاً : " أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ.." (١) .

ومرة ثانية يأتى بأداة الاستفهام "مَنْ" كقوله تعالى : " فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً.." وقوله تعالى : " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ.. ".

ومرة ثالثة بالأداة "أى" وذلك فى قوله تعالى : " لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً.. " وقوله تعالى " لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً.. ".

ومرة رابعة يأتى بأداة الاستفهام "كم" وذلك فى قوله تعالى : " قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ " .

ومن خلال هذا الاستفهام المتعددة طرائقه يتبين لنا عدة ملاحظات .. من أهمها :

---

(١) جاء الاستفهام كثيراً بحرف الهمزة وأيضاً بهل كقوله تعالى : " هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً " وكقوله : " فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً " ؟ وأيضاً باسم الاستفهام "كيف" فى قوله تعالى : " وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً " والملاحظ أن أكثر الاستفهام جاء بحرف الهمزة .

أولاً : جاء الاستفهام بالهمزة ليحمل من المشاعر والدلالات ما يجعله يخرج عن معناه الأصلى إلى معان أخرى تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال .. ولعله هنا قد أفاد التقرير كما فى قوله تعالى : " أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً " .

ثانياً : جاء الاستفهام "بمن الاستفهامية" أيضاً ليخرج عن معناه الأصلى إلى معنى التعجب والاستغراب فالظلم كل الظلم لمن افترى على الله كذباً .. والظلم كل الظلم لمن ذُكر بآيات الله فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه .

ثالثاً : جاء الاستفهام الثالث فى مقام العظة والعبرة والدعوة إلى التشجيع والمنافسة الحقة.. فمن سيكون أحسن عملاً فى هذه الدنيا ، ويستطيع أن يتركها من أجل الله ولا يتعلق بزينتها الزائلة من أجل السعادة الباقية ؟ إنه المؤمن الحق صاحب العقيدة الراسخة والإيمان الصحيح بالله رب العالمين .. هذا الإيمان سيكون له الغلبة والانتصار والمكث فى الأرض : " فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ.." هذه هى النتيجة الحقة للصراع بين الحق والباطل فى كل زمان ومكان .

ثالثاً : الشرط

من الجائز هنا أن نضع أسلوب الشرط ضمن أضرب الإنشاء .. وإن كان يحمل بين طياته الخبر..ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى أن الشرط ثنائى التركيب .. أى له جملتان: الأولى جملة الشرط ، والثانية جملة جواب الشرط .. بالإضافة إلى أنه يحمل معانى النصح والتوجيه والإرشاد [١] .

---

(١) انظر : د. محمد السيد مطر : أسلوبيات (علم الأسلوب مفاهيم وتطبيقات محمود حسن إسماعيل ..نموذجاً) نشر الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى ، ط١، ٢٠١٦م، ص ١٩٨.

ولقد جاء الشرط فى أكثر من ثمانية عشر موضعاً من السورة .. وتنوعت أدوات الشرط فى هذا الاستخدام .. فمنها ما يجزم فعلين مثل : إنْ ، ومَنْ.. ومنها ما لا يجزم .. وأدواتها إذا ، لو .

فمن النوع الأول الجازم قوله تعالى : " إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً " ، وقوله تعالى أيضاً : " وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً.." وقوله تعالى : " إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرا".

وجاء باسم الاستفهام "من" فى قوله تعالى : " مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً " وقوله تعالى أيضاً : " فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً " .

وجاء بإذا الغير جازمة فى قوله تعالى : " حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ " وقوله تعالى : " حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْراً " وقوله تعالى أيضاً : " حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْماً لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً.." وقوله: " حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً.." .

ثم يترك التركيب بـ"حتى إذا" ويقول فى موضع أخر : " فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً.." .

وأخيراً .. جاء الشرط بـ" لو" الغير جازمة أيضاً فى قوله تعالى : " لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً.." وقوله أيضاً : " لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمْ الْعَذَابَ " وقوله :" لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً.." .

ومن خلال هذا العرض الشائق لأسلوب الشرط المتنوع فى هذا السرد القصصى فإنه يتبين لنا عدة ملاحظات مهمة .. منها :

أولاً : إن بنية الشرط من الأبنية الأسلوبية المهمة التى أكدت على أن القرآن قد تميز وتفرد عن غيره فى التعبير بأسلوب الشرط .. حيث التنوع فى الدلالة المعنوية واللفظية .

ثانياً : لعل الدلالة الحاصلة من التعبير باستخدام "إنْ" الشرطية تتمثل فى التهديد والوعيد ، أو أنها تبعث على الخوف واليأس .. فمثلاً " إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ " أو " وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً ".. وهكذا .

ثالثاً : جاء التعبير بمن الاستفهامية هنا ليشير بها إلى بث روح التفاؤل والأمل.. على عكس التعبير بالأداة "إنْ" السابقة .. فمثلاً "من يهد الله فهو المهتد .. " وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً " أو فى قوله " فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً" وهكذا .

رابعاً : جاء التعبير بالأداة "إذا" – مع حتى – الغير جازمة ليشير بها إلى الدقة فى وصف المشهد القصصى ، وبلوغ الغاية فى الأحداث الدرامية – إن صح التعبير – التى يقصها القرآن الكريم للمشاهد أو المستمع لها .

ومن هنا كان القرآن قادراً على تصوير الحياة بكل خصائصها التى تشتمل عليها .. فلم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا قام بتوضيحها – متى كانت الحاجة إلى ذلك ضرورية – توضيحاً لا غموض فيه ، لإشباع حاجة المستمع أو المشاهد فى استكمال لذة الاستماع أو المشاهدة بذكر تلك الأشياء الضرورية لهما عن طريق القص الذى كان ظاهرة واضحة وقديمة عند العرب حتى قبل الإسلام ؛ حيث كانوا يتداولون الأخبار والسير الذاتية

وغيرها من الأحداث التى ترتبط بشعائرهم وعاداتهم وتقاليدهم وموروثاتهم ارتباطاً وثيقاً [١] .

رابعاً : النهى

يقول البلاغيون إن النهى هو طلب الكف عن الفعل أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام، ويحمل صيغة واحدة هى المضارع المقرون بـ"لا" الناهية الجازمة . بالإضافة إلى أنه قد يخرج عن معناه الأصلى إلى معان أخرى تستفاد من السياق وقرائن الأحوال ، مثل : الدعاء ، الالتماس ، التمنى ، النصح والإرشاد ، والتوبيخ والتحقير ، التيئيس .. ولذلك جاء النهى فى أكثر من سبعة مواضع فى سورة الكهف لتخدم الغرض الرئيسي فى لوحة السرد القصصي .

ومن ذلك قوله تعالى : " وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً " وقوله تعالى فى موضع أخر: " فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِراً وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً " وقوله بعد ذلك مباشرة : "ولا تقولنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً ".. ولعلنا ندرك قيمة النهى فى المثال الأول ؛ حيث تمثلت فى النصح والإرشاد مع الترقب والحذر وأخذ الحيطة الواجبة والمنبعثة من شدة الخوف حتى لا ينكشف أمرهم أو تظهر حقيقتهم أمام الناس .

ولعل النهى فى المثال الثانى قد خرج عن معناه الأصلي إلى معنى أخر وهو التوبيخ والتحقير لهؤلاء القوم الذين لا يمثلون قيمة عند الله عز وجل .. فلا داعى لضياع الوقت أو استهلاك الفكر مع قومٍ قد دأبوا على الجدال

---

(١) انظر :د. محمد السيد مطر : –قراءة فى الأدب الجاهلى (الرحلة عند شعراء المعلقات نموذجاً) نشر الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى ، ط١، ٢٠١٧م. اص١٢٧ .

والمحاجة من أجل إشباع نفوسهم المريضة أو عقولهم الرخيصة .. وهكذا يستمر النهى فى السورة إلى أن نصل إلى نموذج أخر فريد وهو على لسان سيدنا موسى عليه السلام معتذراً للعبد الصالح ؛ حيث قوله تعالى : "قال لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً " .

فالنهى هنا قد أفاد التمنى فى قبول الاعتذار والصفح الجميل عنه لأن موسى لم يقصد الإساءة للعبد الصالح، أو التخلى عن مبدأ المصاحبة بشروطها المسبقة .. ولكن ما حدث منه جاء عفو الخاطر عن طريق نسيان ما اتفق عليه. ولذلك طلب منه ألا يؤاخذه على نسيانه .. فالنسيان طبع فى الإنسان قد لا يستطيع أن يتخلى عنه لأنه مجبول عليه .. ومن هنا جاءت المسامحة من قبل العبد الصالح لموسى عليه السلام طالما أن الأمر قد جاء بغير قصد أو بسوء نية .

خامساً : التمنى

إن التمنى هو طلب حصول شىء على سبيل المحبة ، لكونه مستحيلاً ، أو لكونه ممكناً غير مطموعٍ فى نيله .. وهو قليل جداً فى السورة .. وقد لا يتعدى تكراره ثلاث مرات.

ففى المرة الأولى جاء التمنى بالأداة "ليت" وذلك فى قوله تعالى : "فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً..".

وما من شك فى أن دخول النداء على التمنى يشير إلى الرغبة الشديدة للرجل الكافر فى الندم على شركه بالله .. حيث أصبح بلا مأوى وبلا ثراء وأن حاله من الغنى قد تبدلت إلى الفقر بسبب كفرانه النعمة وإشراكه بالله عز وجل .

وفى المرة الثانية جاء التمنى بالأداة "هل" وإن كانت غير أصلية فى تركيبة جملة التمنى .. أى أنها ليست مثل "ليت" التى هى أصل التمنى .. ليتضح ذلك فى قوله تعالى : " قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً " وهذا يشير إلى رغبة موسى الشديدة فى طلب العلم ومعرفة كل مجهول أمام عينيه.. وهذا ما قد أنبأت عنه الآيات التى جاءت بعد ذلك .. حيث الإلحاح والإصرار والرغبة فى كشف المستور أو حب الاستطلاع عن كل شىء يجهله موسى فى حياته .

وفى المرة الثالثة .. جاء التمنى عن طريق الأداة "لولا" وفعل الرجاء "عسى" إن صح التعبير به عن التمنى ؛ وذلك فى قوله تعالى فى الآيتين التاسعة والثلاثين و الآية الأربعين : " وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِي أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَداً .. فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْراً مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِنْ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً.." فجاءت الرغبة من صاحب الجنة المؤمن فى دعوة صاحبه الكافر إلى تذكيره بنعم الله عليه وأنه أحسن حالاً من صاحبه المؤمن .. فلماذا ينكر فضل الله عليه أو يجحد نعمته تعالى التى أسبغها عليه ؟

سادساً : النداء

وهو طلب المتكلم إقبال المخاطب بحرف نائب مناب "أدعو" وأدواته كثيرة .. ولا داعى لذكرها لأنها معروفة لدى الجميع .. ولقد اهتمَّ البلاغيون بالنداء لأنه من السمات الأسلوبية المهمة .. وأحد الخطابات الشفوية التى لم يستغن عنها الأدباء ..

ولقد جاء النداء فى أكثر من ثلاث مرات : المرة الأولى جاء بدون حرف نداء ، وذلك لدلالته على القرب من الله عز وجل .. وأن أصحاب

الكهف قد توجهوا إلى خالقهم عز وجل دونما وسيط بينهم وبين الله تبارك وتعالى .. ولذلك جاء قوله تعالى : " إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً " .. ما أجمل هذا القرب من الله الواحد الأحد وما أبدعه! حيث جاء الإيجاز بالحذف (أى حذف حرف النداء.. يا) فى موضعه ليحمل كل المعانى السابقة التى أشرت إليها .

وفى المرة الثانية .. جاء النداء لذى القرنين فى قوله تعالى : " قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً.." .

وفى المرة الثالثة .. جاء النداء لذى القرنين مرة أخرى فى قوله تعالى : " قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً.." .

ومن الملاحظ أن القرآن قد وظف أسلوب النداء هنا خير توظيف .. ليخدم السرد القصصى فى ألفاظه ومعانيه .. ولعل النداء فى المثال الأول قد خرج عن معناه الأصلى إلى معنى الدعاء .

وفى المثال الثانى كان دعوة إلى الزجر أو الإحسان معاً .. فالزجر لمن أساء والإحسان لمن اتقى وآمن وعمل صالحاً .

أما فى المثال الثالث والأخير فقد جاء أيضاً على سبيل الإغراء والتمنى فى إقامة ذى القرنين سداً منيعاً حصيناً لهم يحفظهم ويحميهم من يأجوج ومأجوج .. ولعله قد خرج إلى معنى أخر نبيل وهو على سبيل الاستغاثة بذى القرنين فى ندائه لتلبية حاجاتهم وسد مآربهم.

ومن هنا نقول إن القرآن الكريم قد تميز بفردانية السرد عن غيره من النصوص الأدبية الأخرى .

الخاتمة

وبعد هذه الصفحات التى عشنا فيها مع موضوع (جماليات السردفى سورة الكهف بين السرد الدلالى والسرد اللسانى) فإنه يتضح لنا ما يلى :

- أهمية القصص القرآنى .. حيث إنه يُعد محوراً مهماً من محاور التشريع الإسلامى ، ومصدراً فياضاً من مصادر الخيال ، ومجالاً رحباً لتحليل لغة السرد القصصى فى القرآن الكريم .
- السرد يتماشى مع عظمة الخطاب الدينى بطريقة تستهويها النفوس البشرية.
- السرد هو الذى يوظف اللغة جمالياً لتحويل القصة إلى فن لغوى خالص .
- السرد البشرى يختلف عن السرد القرآنى ..فالأول يأتى أحياناً مخالفاً للمألوف فى طريقة عرضه للأحداث ؛ ليستوجب جذب الانتباه ..والثانى يأتى للعظة والعبرة والاقتداء بما فيها .
- للبنية الزمانية والمكانية فى سورة الكهف، مع تناغم الأحداث وترتيب أدوار الأشخاص دور مهم فى نجاح السرد بين قصصها الأربع ؛ وذلك لإعراضه عن الحشو وفضول التفاصيل ، دون خلل أو ملل.
- جاءت الدقة فى التعبير القرآنى تحقيقاً لقوله تعالى " إن هذا لهو القصص الحق " وقوله " نحن نقص عليك نبأهم بالحق " لأن الاعتبار بالقصة لا يحصل إلا إذا كان خبراً عن أمر واقع .
- إن الرمز فى السرد القصصى جاء ليبعث فى القارئ الرغبة فى كشف الغموض ، وفض السر الذى يحيط ببعض الكلمات التى تخرج عن إطار معانيها المعجمية لتشير إلى دلالات رمزية يستفاد منها فى النص السردى كى تجذب انتباه المسرود له .

- إن بلاغة استخدام الحال بأنواعه فى هذا السرد القصصى جاء ليحقق أغراضاً مهمة يتلخص بعضها فى: دقة الوصف ، وجمال العبارة ، وتطوير الأحداث ، وكشف انفعالات الأشخاص، لتتم براعة السرد على الوجه الأكمل منه .
- يأتى ذكر الحال كثيراً فى سورة الكهف لنتبين وجه الإعجاز القرآنى فى السرد القصصى ، وأنه ليس كسرد الإنسان فى رواياته أوحكاياته .
- الحركة الزمانية والمكانية من جماليات وحدة المقصد والشعور والجو النفسى للقصص الأربع، التى بدت مترابطة ترابطاً جمالياً محكماً ومتكاملاً .. وهذا الترابط الفنى يعد وسيلة ناجحة من الوسائل التى اعتمدتها القصة القرآنية فى تحقيق مقاصدها ؛ دون إبراز للتفاصيل إو إهمال للجزئيات التى قد لاتخدم الموضوع الرئيسى .
- إن السرد القصصى فى القرآن الكريم وفى سورة الكهف على وجه الخصوص لا يساق دون قصدية ، بل يساق لغايات معينة ، وأهداف محددة ، بدقة بالغة ، وبجماليات فائقة .
- إن الأحداث السردية هى الوعاء الخالص الذى يتحمل تلك الأفكار ، والقيم الدقيقة فى ثوب جميل ماتع ؛ يغذى العقل والوجدان معاً .
- القرآن الكريم – من خلال سورة الكهف – يعتمد على أسلوب الحوار فى توضيح المواقف ، وجلاء الحقائق ، وهداية العقل ، وتحريك الوجدان ، والتدرج بالحجة ؛ احتراماً لكرامة الإنسان، وإعلاء لشأن عقله .
- يأتى الحوار فى السرد القرآنى ليعلمنا وظيفة الحوار ، وفوائده ، وأساليبه ، وآدابه ، وفنونه.

- إن الإيقاع الصوتى المنبعث من الجناس ، والتكرار ، والطباق والمقابلة قد أحدث أبلغ الأثر فى وجدان المتلقى .. بل وعمل على جذب خياله ومشاعره وتصوراته نحو هدف القرآن الكريم من وراء السرد القصصي المنقطع النظير .
- جاء تناول البحث لجماليات التركيب تأكيداً على أن القرآن الكريم حاول إقامة روابط وعلاقات بين الكلمات وبعضها داخل السياق .. مما يكشف عن شحنات دلالية عديدة من خلال العلاقات الأفقية أو الرأسية للآيات القرآنية داخل منظومة الخطاب السردى فى السورة .
- لقد جّدد القرآن لغة الخطاب السردى عن طريق الاستفهام الذى كان يمثل أيضاً واجهة الخطاب فى القصيدة العربية .
- إن البحث يوصى بالاهتمام بمنهج التحليل الأسلوبى وتطبيقه على القرآن الكريم ؛ لأنه يُعد الآن أقدر المناهج اللغوية الحديثة على تحليل النص الأدبى.. عن طريق المستوى الصوتى، والصرفى ، والتركيبى ، والدلالى.
- على الرغم من أن الأسلوبية الإحصائية مهمة للغاية عند تحليل النصوص الأدبية.. إلا أننا ننبه على أخذ الحيطة والحذر فى استخدام الجداول الإحصائية لسلامة المنهج الأسلوبى .. وهذا ما دفعنى فى هذا البحث إلى عدم إقامة الجداول الإحصائية والنسب المئوية ؛ رغبة فى االبعد عن التعقيد الذى تقل معه الفائدة أحياناً.
- وختاماً .. فإن طبيعة الدراسات الإنسانية قد لا تقبل أحكاماً قاطعة ؛ لأن التغيير والتبديل سمتان من سماتها .. وكل ما أرجوه لهذا البحث أن يكون إضافة متواضعة ضمن محاولات أخرى بُذلت فى هذا المجال .. كما أن هذا البحث تجربة على الطريق .. أسعى – مستقبلاً – لتجاوزها نحو عطاء أفضل بإذن الله تعالى .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر والمراجع

١. ابن رشيق : العمدة ، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ، نشر دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٩٧٢م.
٢. ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، نشر دار المعرفة ، بيروت ١٩٨٤م.
٣. ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر بيروت ، د.ت.
٤. د. أحمد جمال العمرى : دراسات فى القرآن والسنة ، نشر دار المعارف ، الطبعة الأولى ١٩٨٢ .
٥. د. أروى محمد ربيع : السرد فى القصص القرآنى – قصة أهل الكهف أنموذجاً – جامعة جرش الأردن ، نشر مجلة مقاليد ، العدد٩، ديسمبر٢٠١٥م.
٦. د. أسامة عبد العزيز جاب الله : جماليات السرد القرآنى فى قصة ذى القرنين – دراسة سيميائية– كلية الآداب جامعة كفر الشيخ ، د.ت.
٧. إيليا الحاوى : الرمزية والسريالية فى الشعر العربى والعربى ، نشر دار الثقافة بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٣م.
٨. باتريك شارودو : الحجاج بين النظرية والأسلوب ، ترجمة د. أحمد الودرنى ، نشر دار الكتاب الجديد ، ط١، ٢٠٠٩م.
٩. د. بسيونى عبد الفتاح فيود : من بلاغة النظم القرآنى ، نشر مطبعة الحسين الإسلامية ، ط١، ١٩٩٢م.
١٠. ثروت أباظة : السرد القصصى فى القرآن الكريم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٩٩م.

١١. د. جابر عصفور : تحديات الناقد المعاصر ، نشر دار التنوير للطباعة والنشر ، ط١، ٢٠١٤م.
١٢. جير الد برنس: المصطلح السردى – معجم مصطلحات – ترجمة عابد خزندار، مراجعة وتقديم ،محمد بريرى٢٠٠٣م.
١٣. جوزيف ميشال شريم : دليل الدراسات الأسلوبية ، نشر بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤ .
١٤. دلال فاضل : مقولات السرد عند جيرارجينت ، مقالات على الشبكة العنكبوتية ٢٠٢٠م.
١٥. د. رجاء عيد : فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ، نشر منشأة المعارف بالإسكندرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٨م .
١٦. رزفن جوليردى جان : تحليل الحال فى سورة الكهف ، نشر جامعة سومطرة ، كلية العلوم والتربية والتدريس ٢٠١٨م.
١٧. د. رياض بن يوسف :أدبية السرد القرآنى –مقاربة من منظور علم السرد – مخطوط دكتوراه ، جامعة منتورى ٢٠١٠م.
١٨. الزمخشرى :الكشاف ، نشر دار الفكر للطباعة والنشر ،ط١، ١٩٨٣م.
١٩. ستيفن أولمان : دور الكلمة فى اللغة ، ترجمة د. كمال بشر ، نشر دار غريب ، القاهرة ، الطبعة الثانية عشرة، ١٩٧٧م .
٢٠. د. شكرى عياد : مدخل إلى علم الأسلوب ، نشر أصدقاء الكتاب للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٩٦م .
٢١. الصابونى : صفوة التفاسير ، نشر دار الصابونى للطباعة والنشر ، القاهرة .

٢٢. د. صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص ، نشر مؤسسة مختار – دار عالم المعرفة – الطبعة الأولى ١٩٩٤م .
٢٣. علم الأسلوب – مبادئه وإجراءاته – نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥م .
٢٤. عباس عبده جاسم : سرد ما بعد الحداثة ، نشر إصدارات مشروع بغداد ٢٠١٣م.
٢٥. د. عبد الرحيم الكردى : السرد ومناهج النقد الأدبى ، نشر مكتبة الآداب ٢٠٠٤م.
٢٦. عبد الكريم الخطيب : القصص القرآنى فى منطوقه ومفهومه ، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر بيرت ٢٠٠٥.
٢٧. د. عبد الله خضرحمد: جماليات النص القرآنى – دراسة أسلوبية فى المستوى التركيبى نشردار القلم للطباعة والنشر لبنان .د.ت.
٢٨. د. عبدالعزيز عتيق :
- علم البديع ، نشر دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨٥م .
- علم البيان ، نشر دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨٥م .
- علم المعانى ، نشر دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨٥م .
٢٩. د. على عبد الواحد وافى : علم اللغة ، نشر دار النهضة – الطبعة السابعة ، ١٩٧٢م .
٣٠. د. على بن محمد الحمود : جماليات الترابط فى قصص سورة الكهف ، بحث بمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، د.ت.
٣١. عمر عيلان : فى مناهج تحليل الخطاب السردى ، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق ٢٠٠٨م.

٣٢. د عويض بن حمود العطوى : بلاغة الحال فى النظم القرآنى دراسة تحليلية ، نشر مكتبة الملك فهد ٢٠٠٦م.
٣٣. د. فايز مد الله سلمان : جوانب من التشكيل القصصى فى سورة الكهف –دراسة أسلوبية – بحث منشور بكلية الآداب، جامعة جازان ، السعودية ٢٠١٢م.
٣٤. كلود جرمان ، ريمون لبلان : علم الدلالة ، ترجمة د. نور الهدى ، نشر دار الفاضل دمشق ١٩٩٤م.
٣٥. محمد أبوزهرة : زهرة التفاسير ، نشر دار الفكر العربى القاهرة ، ١٩٨٧ ، المجلد التاسع .
٣٦. محمد أحمد جاد المولى ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم .. وآخران : قصص القرآن الكريم ، نشر دار الجبل ، بيروت ١٩٨٥م الطبعة الثالثة عشرة .
٣٧. محمد بن جرير الطبرى :جامع البيان فى تأويل القرآن ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠م
٣٨. محمد خطابى : لسانيات النص – مدخل إلى انسجام الخطاب – نشر المركز الثقافى العربى بيروت ، ط١، ١٩٩١م.
٣٩. محمد رشيد رضا : تفسير المنار، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م،ج٨.
٤٠. د. محمد العبد : إبداع الدلالة فى الشعر الجاهلى مدخل لغوى أسلوبى ، نشر دار المعارف ،ط١، ١٩٨٨م.
٤١. محمد عزام : المصطلح النقدى فى التراث الأدبى العربى ، نشر دار الشرق العربى لبنان ٢٠١٢م.

٤٢. د. محمد السيد مطر : أسلوبيات (علم الأسلوب مفاهيم وتطبيقات محمود حسن إسماعيل ..نموذجاً) نشر الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى ، ط١، ٢٠١٦م.
٤٣. قراءة فى الأدب الجاهلى (الرحلة عند شعراء المعلقات نموذجاً) نشر الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى ، ط١، ٢٠١٧م.
٤٤. محمد على الصابونى : التفسير الواضح ، نشر جمعية الماجد دبى ٢٠٠٢م.
٤٥. د.محمد فتوح أحمد : الرمز والرمزية ،فى الشعر المعاصر ، نشر دار المعارف ، ط٣، ١٩٨٤م.
٤٦. د. محمود السعران : علم اللغة ، نشر دار الفكر العربى ١٩٩٩م.
٤٧. د. المهدى لعرج وآخرون : البلاغة العربية وآفاق تحليل الخطاب ، منشورات المركز الأكاديمى للدراسات الثقافية والأبحاث التربوية ، فاس المغرب ٢٠٢٠م.
٤٨. د. نفلة حسن أحمد العزى : تقنيات السرد وآليات تشكيله الفنى – قراءة نقدية – نشر دار غيداء، ط١، ٢٠١١م.
٤٩. د. بن يامنة سامية : تحليل الخطاب السردى ، مقالة على النت المحاضرة الولى والثانية ،د.ت.
٥٠. د.يوسف سليمان الطحان : الوصف فى قصص سورة الكهف – دراسة تحليلية– نشر مجلة كلية العلوم الإسلامية، المجلد السابع ، العدد ١/١٤ ، ٢٠١٣م.

ثانياً : الرسائل العلمية

١.أحمد رحيم كريم :المصطلح السردى فى النقد الأدبى العربى الحديث ، مخطوط رسالة ماجستير ، جامعة بابل ، كلية التربية ٢٠٠٣م.

٢.إلياس الحاج إسحاق : سورة الكهف دراسة صرفية ، مخطوط رسالة ماجستير ، نشر جامعة أم القرى ١٩٩٥م.

٣.آمنة عشاب : الحبك المكانى فى السياق القصصى القرآنى –سورة يوسف أنموذجاً – مخطوط رسالة ماجستير ، جامعة حسيبة بالشلف ٢٠٠٧م.

٤.جليلة بوعبد الله : البنية السردية فى القصة القرآنية ، مخطوط رسالة ماجستير ، جامعة العربى بن مهيدى الجزائر ٢٠١١م.

٥.سلمان سالم سلامة الحسونى :ألوان البديع فى سورة الكهف – دراسة بلاغية تحليلية – مخطوط رسالة ماجستير ، كلية الآداب والعلوم ، جامعة الشرق الأوسط ٢٠١٦م.

٦.د. رياض بن يوسف :أدبية السرد القرآنى –مقاربة من منظور علم السرد – مخطوط دكتوراه ، جامعة منتورى ٢٠١٠م.

ثالثاً : الدوريات والمجلات العربية

١.مجلة فصول ، المجلد التاسع ، العدد الثالث والرابع ، فبراير ١٩٩١م .

٢.مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، ليبيا ، العدد السابع ، ١٩٩٠م .

٣.مجلة كلية العلوم الإسلامية ، المجلد السابع ، العدد ١/١٤ ، ٢٠١٣م.

٤.منشورات اتحاد كتاب العرب ، مستويات السرد الإعجازى فى القصة القرآنية ، دمشق٢٠٠١م.

رابعاً : المراجع الأجنبية

1. Claude Brémond- Racontant et raconté: les deux temps du récit –in Le temps du récit (Ouvrage collectif) Madrid 1989.
2. J-COURTÉS Analyse sémiotique du discours. De l'énoncé à l'énonciation, Paris, Hachette. 1991.
3. introduction a la semiotique narrative et discursive.hachette université paris 1976 .
4. Florence de Chalonge – Espace et récit de fiction- Le cycle indien de Marguerite Duras.Presses universitaires du Septentrion-Ville neuve d'Ascq France-2005.

فهرس الموضوعات

م	الموضـوع	الصفحة
١-	ملخص	٦٩٧
٢-	Abstract	٦٩٩
٣-	المقدمة	٧٠١
٤-	المبحث الأول : من جماليات السرد الدلالى	٧٠٧
٥-	المبحث الثانى : من جماليات السرد اللسانى	٧٣٠
٦-	الخاتمة	٧٥٠
٧-	المصادر والمراجع	٧٥٣
٨-	فهرس الموضوعات	٧٦٠

تم بحمد الله